السنة الثامنة عشرة — العدد ٥ — ايار — ١٩٢٠

المشرق



رأيـة قسطنطين

قد كنتُ ميْتاً وها انا حي (رؤيا ١: ١٨)

لأحد الكهنة الافاضل

اللواء

هذا اللّوا علَمُ المليكِ الباري نعم الشعارُ غدا هُدَى الأبرارِ
انّ الصليبَ بعارهِ وجلالهِ لَغزٌ عجيبٌ غامضُ الاسرارِ
عود الفدا قد صار رمزاً للعلا من بعد ان قد كانَ رمزَ العارِ
موت الالهِ عليه خيرُ ضحيّةٍ ترضي السماء بها من الأوزارِ
غرسٌ كريمُ الاصل جذعٌ ماجدٌ قد ضرّجتهُ دما العلي الجبّارِ

أسعِد به غرساً زها بفروعهِ غرسَ المنا المتهدّلِ الأثمارِ
اياهُ ربُّ العالمين قد اصطفى وعليهِ سُيِّرَ للفدا ابنُ الباري
يا ايها الغرسُ الجليلُ مفاخراً نُزِّهتَ عن ندٍّ مدى الأعصارِ
فلأنت يا غرساً بياً قُبلةٌ في ارضنـا بل منبعُ الانوارِ
ولأنت ما لا يدنّيه مقاربٌ فيالكونِ خصباً دائمَ التكرارِ
يا سامقاً بالمجدِ من احشا الثرى نحوَ الذُرى الأبديّةِ الادهارِ
ما في الخمائلِ مثلُ عودكَ مثمراً يا دوحةَ الابرارِ والأطهارِ
قد فاح منك شذا القداسة عنبراً وغدا جناك فضائل الاخيارِ
حُييتَ يا أبهى صليبٍ في الورى يا غرسَ مجدٍ أوحداً بفخارِ
يا اثن الميدانِ غيرَ منافسٍ بعلاك حارت علية الافكارِ
طلعَ الصليبُ مظفَّراً فترنّموا بثنا المليك الظافر القهّارِ
تمّ الخلاصُ وتلك آثار الضحيّة م والفدا أكرِمْ بتي الآثارِ
موسومة بدماك يا فادي الورَى يا ابن الاله وسيّدَ الاحبارِ
سوطٌ واكاليلٌ وحربةُ طاعنٍ قاسٍ وقصبةُ ذلّةٍ وشنارِ
أكرِمْ بها شاراتِ عزٍ شابها بدمٍ وماءٍ من فؤادهِ جاري

الدفين

قُمْ ظافراً حطِّمْ قيودَ عداكا يا ابنَ الالهِ وعزِّ آل رجاكا
وَذَرِ الضريحَ ممجَّداً وظلامَهُ حيث اللالاك مراقبٌ يرعاكا
قُمْ فالحقيقةُ تقتضيه لانه وعدٌ ولستَ بمُخلِفٍ حاشاكا
وعدُ الفداءِ لآدمٍ . وعدُ الرجا لبنيك . وعدٌ للسما . فكفاكا
قُمْ واخزِ من جحدوك واخذل عُجْبَ مَنْ قد عذَّبوكَ وفاخروا بِرَداكا
يا ربُّ إنّ المجدليةَ في بكا وشجاً فعزِّ فؤادَها برؤاكا
جفّت سيول دموعها اذ سُهِّدت ترعى النجومَ هديدُها ذكراكا
حتى إذا انبلجَ الصباحُ مبشِّراً تبدو فينفي غمّها مرآكا
يا ربُّ قُمْ : ما الرمسُ وهو مذلّةٌ مثوى إلهٍ فالسّما مثواكا

قمْ : ليس أبناء الثرى بيوانهم　　أكفاء مجدك في سماء بهاكا
يا ساطعَ الأنوار . في قُبب العلا　　مثواك . منهُ نهتدي بضياكا

الحي

عقبَ المهانةِ عزةٌ وفخارُ　　لا أذلّ ضريحهُ الجبّارُ
فيسوعُ قد قهر الردى ولقد بدا　　رغم اللئام ونُبرده الأنوارُ
شامت بهاءُ المجدلية فانثنت　　قدميه تلثمُ والفؤاد يَبارُ
ومضت تبشّرُ بالقيامةِ قومها　　وتشيدُ : قد عقبَ الشقاء يسارُ
فاشتدّ ذهلُ الرسلِ ثم تساءلوا　　ريباً : أحقٌ ذاك ام أخبارُ
حتى بدا بعدَ القيامةِ بينهم　　سيا تزال الريبُ والاكدارُ
أسمعتمُ صوتَ المعلّمِ مُنشداً　　ومشدّداً ؟ فبه يُقالُ بشارُ
صوتَ إلهي فيا رسُلَ الهدى　　اصغوا : فإنَّ به النفوسَ تُغارُ
من قبلِ أن يرقى إلها ظافراً　　نحو السما مولاكمُ القهارُ

الظافر

في قبّة الفلك حين الفجرُ يبتسمُ　　للارض . حين جنودُ الليل تنهزمُ
اذ يشرقُ الكوكبُ الوهّاج ساطعةً　　منه قباب السما كالشُّهب تضطرمُ
رأدُ الضحى من نهار كلّهُ لمرحٍ　　في زرقة الجوّ حيث النورُ والنسمُ
علا المسيحُ بمجدٍ باذخٍ وبها　　في الرفع منتصراً جلبابهُ العظمُ
بها صعوداً فواراه السحابُ وقد　　أنهى الفداء فساخت بالرجا القدمُ
قد جاري حباً بجوف الارض مدفنهُ　　فصار دوماً اليه تحتمي الأممُ
كذاك نبعث أحيا بالمسيح وقد　　كنا رميماً تغشّي رمسنا الظلمُ
يا سعدَ نفسٍ تواه بعد أن تبعت　　آثارهُ وهداها الحبُّ والهممُ
تلقى به بيوودِ المجد منشحاً　　له جنودُ السما ذات البها حشمُ
مُبارِكاً بالعطاف من قداهمُ من　　شرّ الهلاك بحبٍّ فيضهُ اليمُ
لله فعلُ خذى يولي الرجا قبطاً　　من آيهِ يترقّى القُربَ المجمُ

عزُّ انتصارك ابنَ الله يصحبه حسنُ الرجا وجمالُ الفوزِ والعِظَمُ
أذكى بنا للتُقى ناراً مقدسةً ينفي بها الشكُّ والجبنُ الذي يَصِمُ
فللمسيح فخارٌ لا شبيهَ له نال انتصاراً به نحيا ونعتصمُ
نصراً جليلاً به يبدو لمعتقد انَّ الردى لن يلي وثباتهِ العدمُ
لن يقتلَ الموتُ في الانسانِ خالِدَهُ مبدأ الحيوة الذي لم يُوهِهِ السقَمُ
روحاً سماوية تسمو منزهةً بنطقها فهي لا جسمٌ ولا وَهَمُ
أما بها عرفَ الانسانُ هُديتهُ في الخير والشر وهيَ النورُ والعلمُ
له يا كوكبٌ هادٍ تلألأ من جبينهِ حيثُ نورُ الفكرِ مرتسمُ
يا ايها العقل حرزَ النفسِ يا قبساً من روح يسوعَ يا نوراً بهِ الحِكَمُ
كن في حمى الحكمة الغرّاء معتصماً فانها الفوز اذ تحيا بها الرِّمَمُ

الجمهورية الفرنسوية الثالثة ورؤساؤها

بقلم الكاتب الاديب الشيخ سليم الدحداح

كان اليوم الثامن عشر من شباط بداءة مدة رئاسة المسيو بول ديشانل على الجمهورية الفرنسوية وقد أقفلت دوائر الحكومة في المنطقة الغربية تحيّةً للمختار وترحيباً به تبعاً لما يجري في سائر الانحاء التي يظللها العلم الفرنسوي المحبوب . وقد رأيت بهذه المناسبة اتحاف القراء الكرام بمقالة عن حكومة الجمهورية الفرنسوية الحاليّة والرؤساء الذين تعاقبوا على منصة الرئاسة

كلٌ يعلم ان حكومة فرنسة كانت في السابق من النوع الملكي اي خاضعة للملك وذلك منذ بداءة تقسيم الدولة الرومانية في النصف الاول من الجيل الخامس حتى اواخر الجيل الثامن عشر . ولما الجأت الازمة المالية الملك لويس السادس عشر الى جمع وكلاء طبقات اهالي فرنسا الثلاث في مدينة فرسايل في ٥ ايار ١٧٨٩ للمداولة معهم فيما يجب اجراؤه لتحسين مالية الدولة اغتنم هؤلاء الوكلاء فرصة ضعف رأي الملك وتردده المستديم وقلق افكار الرأي العام فتجاوزوا الأمورية التي انتدبوا اليها

وتطرّقوا من امرٍ الى غيره حتى توصلوا اخيرًا الى المناداة في ٢١ ايلول ١٧٩٢ بإلغاء الهيئة الملكيّة واقامة الجمهوريّة الفرنسويّة فخلعوا لويس السادس عشر وسجنوه في قلعة التامپل مع اسرته ولم يخرجوهم منها الّا للموت. وحكاية ذلك طويلة معروفة لا لزوم لسرد حوادثها

ودامت الحكومة الجمهورية الاولى منذ ٢١ ايلول ١٧٩٢ الى ١٨ ايار ١٨٠٤ وتغيّرت اشكالها ثلاث مرّات فقامت اوّلًا حكومة اتّفاق الأمة (Convention Nationale) وهي التي تولّت قتل الملك ومحاربة اوربة وقمع الحركات الملكية في الداخل ولم يكن فيها رئيس للجمهورية بل كان على رئاسة الدولة لجنة اسمها لجنة « الخلاص العمومي » . ووليها في التدبير حكومة مجلس الادارة (le Directoire) وكانت رئاستها مؤلفة من خمسة اشخاص . قلبها الجنرال بونابرت في ١٨ برومير اي ٩ تشرين الثاني ١٧٩٩ فجعلت رئاسة الدولة لثلاثة اشخاص يلقّب كل منهم بلقب قنصل وفي الحقيقة كانت كل السلطة في يد القنصل الاول وهو الجنرال المشار اليه الذي لم يزل نجمه طالعًا حتى نودي به امبراطورًا على فرنسة في ١٨ ايار ١٨٠٤ وظلّت ادارة الضرب تطبيقًا للرأي العام تذكر على قطع النقود حتى نهاية ١٨٠٤ في احد الوجهين اسم : الجمهورية الفرنسوية — وفي الآخر اسم نابوليون امبراطور — فيكون عهد الجمهورية الاولى ١٣ سنة غير كاملة

ولمّا خلع الباريسيون الملك لويس فيليب في اواخر شباط ١٨٤٨ نادوا بالجمهورية الفرنسوية الثانية فظلّت موجودة حتى ٢ كانون الاول ١٨٥٢ : تولّى الامر فيها اولًا لجنة موقتة دُعيت باسم اللجنة الاجرائية قوامها خمسة اشخاص كان في عدادهم الشاعر لامرتين الشهير . ثم لمّا ظهرت فتنة حزيران ١٨٤٨ أُعطيت السلطة المطلقة بصورة خارقة العادة الى الجنرال كافنياك واخيرًا أُنتخب البرنس لويس بونابرت رئيسًا للجمهورية فلبث في الرئاسة مدةً حتى تمكّن في حادث ٢ كانون الاول ١٨٥١ من الغاء المجلس النيابي المعاكس له بعد ان سجن ونفى مَن خاصمهُ من اعضائه وبعد ذلك بسنة نودي به امبراطورًا باسم نابوليون الثالث

فلمّا ضبط لأزمّة التدبير ابطل حكم الجمهوريّة الثانية كما الغى نابوليون الاوّل الجمهوريّة الاولى بعد ان تولّى كلاهما الرئاسة فيهما . على انّ الجمهوريّة الاولى والثانية

قد قامتا على انقاض الدولة الملوكية لانَّ الجمهوريَّة الثالثة فانها قلبت عرش نابوليون الثالث على اثر انكساره في الحرب السبعينية وتسليمه سيفه لملك بروسية في ٢ ايلول ١٨٧٠ في سيدان

الجمهورية الثالثة

لما بلغ الشعب الباريسي خبر تسليم الامبراطور وجيش مكماهون في سيدان ثار على الحكومة الامبراطورية بخلع صاحبها ونادى بالجمهورية ودعيت الحكومة «حكومة الدفاع الوطني» برئاسة الجنرال تروشو (Trochu)، وجُعل لمستشارة الامة في تعيين هيئة وقوانين الحكومة الى ما بعد انعقاد الصلح . ولما سلَّمت مدينة باريس في اواخر كانون الثاني سنة ١٨٧١ وشرعت البلاد بالاستعداد لانتخاب هيئة قانونية تقوم بتمثيل فرنسة وعقد الصلح مع العدو المنتصر انتخب المجلس الملي الموجود في بوردو الوزير والخطيب الشهير ادولف تيارس رئيساً للحكومة باسم «رئيس السلطة الاجرائية» بدون تعيين مدة لحكمه وهذا هو الذي اعتاد التاريخ ان يعتبره الرئيس الاول للجمهورية الفرنسوية الثالثة اي الحالية

١ — المسيو تيارس : كان هذا قد اشتهر بتوليه رئاسة الوزارة مراراً في عهد الملك لويس فيليب وعُرف بخطته العدائية لانكلترا وقت اتفاق اوربة باغراء هذه الدولة على محمد علي باشا سنة ١٨٤٠ واخراجه من سورية . وكان معروفاً في عالم التاريخ والآداب بالجرائد التي تولى تحريرها والخطب التي القاها وارتجلها في ندوة النواب والتواريخ التي الَّفها واهمها تاريخ الثورة الفرنسوية وتاريخ حكومة القنصلية والامبراطورية . وكان في مدة الجمهورية الثانية عضواً في المجلس الملي وعاكس فيه لويس بونبارت ولهذا كان في عداد ضحايا حادث ٢ كانون الاول سنة ١٨٥١ فنفاه نابوليون الثالث هو والجنرال لاموريسيار المنتصر على الامير عبد القادر والشاعر فيكتور هوغو والخطيب بيريه والمسيو اميل ديشانل والد الرئيس الجديد وغيرهم . وقع عليه الانتخاب وهو بين الرابعة والسبعين وقد كان طاف مواصم اوربة مهيجاً رأي الدول ضد المانية ومبيِّنا لكلٍّ منها الخطر عليها من انتصار هذه الدولة . فلم يفلح في حملها على اغاثة فرنسة

تولَّى الاحكام مدة سنتين وثلاثة اشهر بكل همَّة ونشاط ونجح في إعادة الثقة بدولة فرنسة فتوفَّق الى تعجيل دفع اقساط الغرامة ونال تقصير مدة الاحتلال الالماني وانما اضطرَّ اخيرًا للاستقالة لان المجلس المليَّ كان مرجِّحًا للشكل الملكي وكان ضجرًا من استبداد تيارس الذي اصبح يظن نفسه بان فرنسة لا يمكنها الاستغناء عنه

٢ ﴿ مكماهون ﴾ : إثْرَ استقالة تيارس اجتمع المجلس المليّ وانتخب المارشال دي مكماهون رئيسًا للحكومة لمدة سبع سنوات : ولد مكماهون من اسرة نبيلة كاثوليكية من ارلندة أتى احد افرادها الى فرنسة بصحبة الملك المخلوع جيمس الثاني سنة ١٦٩٠ . وكان المركيز والد المارشال من كبار رجال الدولة في عهد شارل العاشر فاستقال هو وولده البكر من خدمة الدولة يوم خلع هذا الملك سنة ١٨٣٠

واما المارشال فكان ضابطًا صغيرًا فامره ابوه بالبقاء في خدمة الجيش فاشتهر في الجزائر ثم في سبستبول حيث استولى على ملاكوف الحصينة وفي معارك حرب ايطالية حيث انتصر في ماجنتا واخيرًا في حرب المانية وقد ابلى فيها بلاء حسنًا لكنهُ لم يتوفَّق فيها وتولَّى اخيرًا قيادة جيش الحكومة فحاصر ثوَّار الفوضى في باريس وفتحها بمدة وجيزة واعاد الامن الى نصابهِ . وكانت اميالهُ ومواطأتهُ نحو الحكومة الفرديَّة فكان احزاب فرع البوربون مؤملين بهِ بسبب اصلهِ ووالدهِ واحزاب فرع اورليان كانوا يعدُّونهُ من ذويهم لخدمتهِ في عهد لويس فيليب ومثلهم اشياع نابوليون كانوا يؤكدون انهُ لا يريد سواهم . وفي بداءة عهدهِ اصطلح آل اورليان مع الكونت دي شامبور رئيس الفرع الاول واتى هذا الاخير الى فرسايل مقرّ المارشال ظنًّا منهُ ان المارشال يجري انقلابًا في الحكومة وينادي بهِ ملكًا لكن المارشال لم يقابلهُ ولم يتفق مع أنصارهِ واشياعهِ لانهُ ابى ان يترك العَلَم الابيض شعار الملوك اجدادهِ وهكذا سقطت الآمال الملكية وكان ذلك باعثًا لحمل المارشال على تعجيل إعمال المجلس في تقرير هيئة الحكومة وسنّ قوانينها التي أُعلنت في سنة ١٨٧٥ فاسفرت عن تعيين الهيئة الجمهورية حكومةً لفرنسة وانتخاب رئيس للجمهورية لمدة سبع سنوات مع امكان تجديده وتشكيل مجلسين ندوة الشيوخ وندوة النوَّاب فالنوَّاب يجدَّد انتخابهم كلَّ اربع سنوات اما الشيوخ فكان نصفهم اولًا يتعيَّنون

لطول الحياة والنصف الآخر لتسع سنوات. وهكذا يكون المارشال دي مكماهون الرئيس الاول الحقيقي للجمهورية

وفي عهده حدثت محاكمة المارشال بازين الذي حكم عليه بالاعدام لتسليمه جيش متس فابدل مكماهون الحكم بحبس عشرين سنة وتمّ معرض باريس العمومي سنة ١٨٧٨ . وقد كانت الحكومة بسبب حوادث ثورة الفوضويين سنة ١٨٧٠ جعلت مدينة فرسايل عاصمة للدولة ومركزاً لرئيس الجمهورية ومجالسها . — وقد جاء في القانون الاساسي انه عند اختلاف الوزارة مع ندوة النواب فلرئيس الجمهورية اختيار بين استبدال الوزارة بخلافها بعد اقالتها او بحلّ ندوة النواب بعد استشارة مجلس الشيوخ وقد فضّل المارشال دي مكماهون هذا المذهب الاخير في ١٦ ايار سنة ١٨٧٦ فحلّ ندوة النواب لاتفاق ٣٦٣ عضواً ضد سياسة الوزارة التي كانت من رأيه . فقام رأي الجمهوريين العام برئاسة غمبتا ورموا المارشال بتهمة كونه يحاول قلب الجمهورية وخطب غمبتا خطاباً جاءت فيه عبارته الشهيرة: «متى اظهر الشعب ميله فعلى المارشال حينئذٍ الامتثال او الاعتزال» فنجح الجمهوريون العاكسون في الانتخابات واضطرّ المارشال الى الخضوع لارادة الامة . واخيراً استقال في خلال كانون الثاني سنة ١٨٧٩

٣ ﴿ جول غريفي ﴾ لما استقال مكماهون اجتمع المجلسان حسب نصّ القانون في مدينة فرسايل برئاسة رئيس مجلس الشيوخ وانتخبوا فنال الاكثرية جول غريفي رئيس ندوة النواب وكان في عهد الجمهورية الثانية من العاكسين لتعيين رئيس للجمهورية . ومما جرى في زمن رئاسته صدور العفو عن ثوار الكومون المنفيين الى كايان في اميركة . وأُعيد مركز الحكومة والمجالس الى باريس . وتعيّن نهار ١٤ تموز عيداً وطنياً لفرنسة وللحكومة الجمهورية وبُدئ بمحاكمة الاكليروس في التعليم وأُعلن التعليم الابتدائي الاجباري . وصدر في سنة ١٨٨٦ الامر بنفي كل مدّعٍ بتلك فرنسة مع وليّ عهده وحرم اعضاء الأُسر التي كانت مالكة من الانخراط في الجيش بعد ان طُرد منه من كان فيه منهم . — وقد اتمّ هذا الرئيس مدة السبع السنوات التي كان انتُخب لها وتجدّد انتخابه لسبع سنوات ثانية ولكن حدث ان الجرائد كشفت اعمال صهره ويلسون الذي كان ساكناً في قصر الرئاسة ويتاجر

بالاوسمة فهاج الرأي العام لذلك وان لم يوجد في القانون ما يؤثمه وقامت قيامة اعضاء الندوتين واستقالت الوزارة فاضطرَّ جول غريفي للاستعفاء في كانون الاول سنة ١٨٨٧ بعد ان بقي رئيساً للجمهورية ثماني سنوات و ١١ شهراً

٤ ﴿ سادي كرنو ﴾ هو حفيد لازار كرنو وزير الحربية واحد رؤساء حكومة الجمهورية الاولى . كان ابوه وزيراً . وتعيَّن هو وزيراً للمالية . في عهده صار المعرض الباريسي العام سنة ١٨٨٩ . وقررت فرنسة اجراء السياسة الاستعمارية التي كانت باشرت بها في عهد غريفي في تونس والتونكين وغربي افريقية . وقبل انتهاء مدته بستة اشهر قتله الفوضوي الايطالي سانتو في معرض ليون في ٢٤ حزيران ١٨٩٤ . اشتهرت مدته بحوادث الجنرال بولانجه وباول تقرُّب فرنسة من روسية

٥ ﴿ جان كزيمير بيريه ﴾ اجتمع المجلسان في فرسايل وانتخبا في ٢٥ حزيران ١٨٩٤ رئيس ندوة النواب جان كزيمير بيريه رئيساً للجمهورية . — كان اسم عائلته الاول بيريه وكان جده المدعو كزيمير بيريه متوليا رئاسة الوزارة في عهد لويس فيليب واشتهر فيها بثروته الطائلة وخطبه وجرأته الادبية واقدامه وحزمه ومات في اجراء وظيفته وخلفه ابنه في خدمة الحكومة عهداً طويلاً فكافأه السيو تيارس بان كلف المجلس الملي باضافة اسم الوزير كزيمير المشار اليه الى اسم بيريه فتألف منهما اسماً عائلياً جديداً تخليداً لاعمال هذا الوزير (Casimir - Périer) . وكان المنتخب لرئاسة الجمهورية خلفاً صالحاً لوالده ولجده ياتيهما ثروة واقداماً وعزماً وغيرة وطنية . وكان الجميع يؤملون خيراً من عهده وما شدَّ ما كان اندهال الجمهور ودهشتهم لما كانوا في الجريدة الرسمية في اواخر كانون الثاني ١٨٩٥ خبر استقالته فاستغربوا الامر وتقولوا فيه الاقوال العديدة والحقيقة انه اعتزل حرصاً على كرامة امبراطور المانية فقدم استعفاءه كترضية له بسبب حادثة جرت اثناء تحقيق مسألة خيانة دريفوس وكان الامبراطور يعتبر تلك الحادثة التي اجراها البوليس السري الفرنسوي اهانة له ولدولته

٦ ﴿ فليكس فور ﴾ جرى انتخابه في اواخر كانون الثاني ١٨٩٥ ولبث في الرئاسة الى ١٧ شباط ١٨٩٩ حيث توفي فجأة : كان سابقاً احد اعضاء ندوة النواب وصار وزيراً للبحرية . وفي عهده في اثناء سفره الى بطرسبرج صار إعلان التحالف

الرسمي بين فرنسة وروسية . وهو اول رئيس جمهورية خرج بصورة رسمية من اراضي الجمهورية وعامل الملوك شخصة بالمساواة معهم

٧ ﴿ اميل لوبه ﴾ : كان رئيساً للوزارة قبل تنصيبه . فانتُخب في ١٨ شباط ١٨٦٦ رئيساً لوطنه واتمَّ مدّته تماماً . في عهده أُبطلت معاهدة نابوليون الاول مع الكنيسة . زار لوندرة ومدريد وبطرسبرج فابتدأ التقرُّب الودّي مع انكلترة وايطالية . وفي عهده انتهت كل المشاكل الاستعمارية مع انكلترة وابتدأت مسألة مراكش . وهو اول رئيس حكومة كاثوليكية زار رومية بعد خروجها من سلطة البابا الزمنية

٨ ﴿ ارمان فاليار ﴾ : كان رئيساً على ندوة الشيوخ وتولّى رئاسة اجتماع فرسايل الذي انتخبه رئيساً للجمهورية في ١٨ كانون الثاني ١٩٠٦ (يجري الانتخاب لرئاسة الجمهوريّة بموجب القانون قبل نهاية مدة السلف بشهر واحد) وكان سنة ١٨٦١ وزيراً للعدلية لما وقعت حادثة الزُّوار الافرنسيين في رومية واستحصل حينئذ الحكم على رئيس اساقفة إكس . — وقد قضى مدّته الرئاسية تاماً وقد زار مثل سلفهِ مدريد ولوندرة وبطرسبرج . وفي عهده صارت حادثة اغادير الشهيرة في مراكش وظهرت سوءُ نيّة الدولة الالمانيّة ووقعت حروب البلقان الاولى والثانية

٩ ﴿ ريمون بوانكاره ﴾ : هو من بارلدوك اي من قسم اللورين الذي كان بقي لفرنسة تولّى قبلاً رئاسة الوزارة وعُرف بفصاحتهِ ونزاهتهِ واقتدارهِ . استلم الاحكام في ١٨ شباط ١٩١٣ وقضى مدة رئاستهِ سبع سنوات تماماً . في ايامه ابتدأت الحرب الكونية العظمى التي استعادت فيها فرنسة مجدها العسكري وشرفها وولاياتها المفقودة في فرنسة وفي افريقية ومزّقت في ٢٨ حزيران ١٩١٩ في معاهدة فرسايل التي امضتها المانية معاهدةَ فرنكفورت المشئومة التي كانت رضيت بها سنة ١٨٧١

١٠ ﴿ پول ديشانل الحالي ﴾ : في ١٨ كانون الثاني ١٩٢٠ انتخب الجلسان رئيس ندوة النوّاب المسيو پول ديشانل رئيساً على الجمهورية الفرنسويّة فاستلم الاحكام في ١٨ شباط ١٩٢٠ الاخير . ولد عام ١٨٥٦ في بروكسل حيث كان ابوه ملتجئاً بعد انقلاب ١٨٥١ . وقد ترأس مرتين ندوة النواب حيث عُرف خطيباً مصقعاً وكانت تجددت رئاسته على النواب للمرة الثالثة قبل انتخابه لرئاسة

الجمهورية ببضعة اسابيع – واول عمل رسمي اجراه انه ذهب في اول اذار الى مدينة بوردو وبمعيته المارشال بتان(Pétain) قائد جيوش فرنسة العام وبعض الوزراء ونوّاب الالزاس واللورين كلهم فأجروا الاحتفال برجوع ما كان سُلخ من الالزاس واللورين ذكرا لحفلة الاحتجاج التي كان اجراها في بوردو نواب الالزاس في اول اذار ١٨٧١

وليسمح القراء ان نختم هذه المقالة بهذا الجدول مبينين فيه سنة ولادة وانتخاب ووفاة كل رئيس مع بيان المدة التي قضاها في منصبه

الاسم	الولادة	الانتخاب	الوفاة	مدة الرئاسة سنة	شهر
ادولف تيارس	١٧٩٧	١٧ شباط ١٨٧١	١٨٧٧	٢	٣
المارشال دي مكماهون	١٨٠٨	٢٤ ايار ١٨٧٣	١٨٩٣	٥	٨
جول غريفي	١٨٠٨	كانون ثاني ١٨٧٩	١٨٩١	٨	١١
سادي كرنو	١٨٣٧	كانون اول ١٨٨٧	١٨٩٤	٦	٦
جان كزيمير بيريه	١٨٤٧	٢٥ حزيران ١٨٩٤	١٩٠٧	٠	٧
فليكس فور	١٨٤١	٢٣ كانون ثاني ١٨٩٥	١٨٩٩	٤	١
اميل لوبه	١٨٣٨	١٨ شباط ١٨٩٩	—	٧	٠٠
ارمان فاليار	١٨٤١	١٨ كانون ثاني ١٩٠٦	—	٧	٠٠
ريمون بوانكاره	١٨٦٠	١٨ كانون ثاني ١٩١٣	—	٧	٠٠
بول ديشانل	١٨٥٦	١٨ كانون ثاني ١٩٢٠			

فيكون الآن في فرنسا اربعة رؤساء للجمهورية في قيد الحياة - ومن هذا الجدول يظهر ان اطولهم مدة كان جول غريفي واقصرهم مدة كان جان كزيمير بيريه وان اكبرهم سنًا عند الانتخاب كان ادولف تيارس واصغرهم سنًا كان جان كزيمير بيريه ايضاً

حول جزيرة العرب

نظر تاريخي اجتماعي للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

اليمن وائمّتها

نظر في احوال اليمن قبل الاتراك

دعنا الآن ننتقل من اواسط جزيرة العرب الى جنوبها ونسرّح رائد البصر في احوال اليمن فانّ هناك ايضاً معمّيات يودّ القرّاء الوقوف على حقيقتها وكثيراً ما كرّرت الصحف اسم إمامها يحيى

هذا القطر الكبير قد لعب في كلّ اطوار تاريخه دوراً ذا شأن وذلك لعدّة خواصّ امتاز بها كحسن موقعه وسعة ارجائه وطيب هوائه وعمران بلدانه وكثرة خيراته ونموّ عدد اهله البالغين ستّة ملايين من النفوس مع اختلاف مناطقه من جبال شاهقة واودية عميقة وسواحل وثغور بحريّة فاستحقّت اصقاع اليمن ان يدعوها القدماء باسم العربيّة السعيدة . وكان العرب يقسمونها الى نيّف وعشرين ايالة يدعونها بالمخاليف كالمتصرّفيّات في ايّام الاتراك وكانت العسير معدودة من اليمن قبل ان تفصلها عنها الدولة العثمانية فجعلوها سنجقاً منفرداً

وقد عُرف اهل اليمن منذ سالف الازمان بالإباء وحبّ الاستقلال والنفور من كلّ سلطة اجنبيّة كما يشهد عليه تاريخهم في الجاهليّة على عهد ملوك حِمْيَر ثم توالت عليهم الدول بعد الاسلام وكثر بينهم الخوارج

وكان الحكم فيهم اوّلاً للخلفاء لشدّة وطأتهم الى ان اخذ حبل الخلافة بالانتقاض فاستقلّ اليمنيّون وتولّى عليهم الزياديّون نسبةً الى محمّد بن زياد من السنة ٨١٩ الى ١٠١٨م وابن زياد هو الذي عمّر مدينة زَبيد وسكنها (سنة ٨٢٠) ثم خلف الزياديين النجاحيّون (١٠٢١ — ١١٥٨م) المنتسبون الى المؤيّد نجاح الحبشيّ الاصل

ثمَّ صار امرهم الى المهديين المنتمين الى عليّ ابن المهدي (١١٥٠ – ١١٧٣م) ثمَّ الى الايوبيين من نسل صلاح الدين الايوبي (١١٧٣–١٢٢٨م) ثم الى السلالة المعروفة بالرسوليين (١٢٢٩ – ١٤٥٤م) ثم الى بني طاهر الى السنة ١٥١٧ وهي السنة التي دخل فيها السلطان سليم بلاد العرب . وكلّ هذه الدول جعلت كرسيّها في زَبيد

وكان غيرهم يتولون على جهات اخرى من تلك البلاد فاتَّخذوا مدينة صنعاء كحاضرة ملكهم منهم اليعفوريون نسبةً الى يعفور بن عبد الرحمان اوَّل ملوكهم (٨٦١ – ٩٥٦م) والصليحيُّون المنتسبون الى علي بن محمَّد الصليحيّ (١٠٣٧–١١٠١م) والحمدانيُّون التابعون لحاتم بن غشيم الحمدانيّ (١٠٩٨ – ١١٧٣م) . وملك قسمٌ آخر على عدن واصقاعها وهم الزريعيُّون المنتسبون الى كرم الزريعيّ (١٠٨٣ – ١١٧٣م) . وملك غيرهم في صَعْدة وهم الائمَّة الرسِّيُّون تبعة قاسم بن محمَّد الرسّي احد الخوارج في ايام الخليفة المأمون العباسيّ من سلالة زيد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن ابي طالب المعروف بابن زين العابدين الذي صُلب بامر الخليفة هشام سنة ٧٣٩م ومن جراء ذلك يُدعون بالزيديين

وينتسب الى هؤلاء الزيديين ائمَّة صنعاء المتولين الى اليوم . والزيديُّون من اهل الشيعة لا يعترفون بخلافة ابي بكر وعمر وعثمان بل بخلافة علي وسلالته . ومنهم عدَّة فِرَق كالبتريَّة والسليمانيَّة والجاروديَّة واليعقوبيَّة يناقض بعضهم بعضاً ومنهم من يرى رأي المعتزلة . وائمَّة صنعاء يتلقَّبون بامراء المؤمنين ويضربون النقود باسمهم ولهم رايةٌ حمراء عليها صورة ذي الفقار سيف علي بن ابي طالب

ولمَّا ظهرت الدولة العثمانيَّة في القرن السادس عشر واستولت مدَّةً على اليمن لم يتهنَّأ بنو عثمان بملكهم واضطرُّوا غير مرة الى ان يبارحوا البلاد لعصيان اهلها على ولاتهم متنصرين لائمَّة صنعاء الذين كانوا لا يزالون يطالبون بحقوق الامامة حتَّى ظفروا بها زمناً طويلاً (١٥٩١ – ١٨٣٠م) . واولهم الامام قاسم بن منصور من سلالة الرسِّيين السابق ذكرهم . ثم انتقلت الامامة الى زعماء آخرين منهم الامام يحيى الآتي ذكرهُ

على انَّ سلطة ائمَّة صنعاء ربَّما ضعفت فقام عليهم شرفاء من اهل وطنهم انتزعوا منهم قسماً من بلادهم فملكوا عليها مدة كسلطان لحج وشرفاء ابي عريش وشيوخ

عسير وربما نازع سكان جنوب اليمن اهل شماله فقامت بينهم الحروب وتفاقم الفساد

اليمن والوهابيون (١٨٠٥ — ١٨١٣)

قد سبق لنا القول ان الوهابيين في اوائل القرن التاسع عشر تجاوزوا حدود نجد في ايام اميرهم سعود وعبد العزيز وتهددوا الحجاز واليمن ولم يلبثوا ان استولوا على قسم كبير من اليمن دون صنعاء. وذلك سنة ١٨٠٥ تحت امرة شيخ عسير ابي الحكال المعروف بابي نقطة لعرن عينه. وكان ابو نقطة انحاز الى الوهابيين فأطلقوا يده على اليمن فغزا جهاتها الجنوبية وفتح مدينتي لُحيّة وحديدة

واتّا تصدّى له احد شرفاء اليمن المدعو ابا مسمار حمّوداً كان ابو نقطة فتك به لكنّ حمّوداً تظاهر بالخضوع لامير الوهابيين ومن ثمّ اخذ يعادي شيخ العسير ابا نقطة ولم يزل يماحكه حتى تمكّن من اغتياله فقتله بيده سنة ١٨٠٩ وبسط حكمه على اليمن فحظي اليمن ببعض الراحة

المصريون في اليمن (١٨١٣ — ١٨٤٠)

لمّا تجاز محمّد علي باشا ثمّ ولداه طوسون وابرهيم لمحاربة الوهابيين بامر سلاطين عثمان وجّه المصريون فكرتهم الى اليمن فضلاً عن الحجاز . وفي السنة ١٨١٣ بعث محمد علي الى اليمن احد ضبّاطه المسمّى آغا يوسف. فاجتمع هذا بالشريف حمّود وبالامام منصور صاحب صنعاء. واقنعها بمقاتلة الوهابيين مع الجيوش المصريّة فساروا معاً وحملوا على خلف ابي نقطة الشيخ تهامي وانتزعوا من يده مدينة قنفذة الساحليّة ففتحوها لكنّ الشيخ تهامي عاد اليها بجموعه فاسترجعها منهم . فلمّا بلغ الخبر الى محمّد علي زحف الى المدينة بقوّات جديدة فغلب الوهابيين مع ما ابلوا به من البلاء الحسن للمدافعة عن البلدة ووقع الشيخ تهامي في يد المصريين فارسلوه مخفوراً الى الاستانة فقُتل فيها سنة ١٨١٥

وبقي النفوذ المصري عدّة سنين سائداً على اليمن حتى قام سنة ١٨٣٢ احد المماليك من رعايا محمّد علي فعدى على سيّده وهيّج عليه قبائل عرب اليمن . وقد عُرف هذا الخارجي بلقب تركي ثم دُعي لجهله اللغة التركيّة باسم « تركجه بلمز »

فالمذكور استولى على مخا وحديدة فاضطرّ محمّد عليّ الى ان يوجه من مصر جيشاً لمحاربته ففتح المصريون بمساعدة شيخ العسير عليّ مجثّن مدينة مخا ونهبوها . اما زعيم الفتنة ففرّ هارباً من ايديهم والتجأ الى سفينة انكليزية وسافر الى العراق حيث مات خامل الذكر

ثمّ اجتهد المصريون ليوطّدوا ملكهم في اليمن لكنهم وجدوا في اهلها من فظاظة الاخلاق والدسائس والفتن ما احرج صدورهم والجأهم الى ان يُجلوا عساكرهم اولاً من عسير ثمّ من تهامة وباقي اليمن سنة ١٨٤٠ وحمل على اثر جلائهم اضطرابات في انحاء اليمن وانتهز الانكليز تلك الفرصة ليبتاعوا من سلطان لحج مدينة عدن وهي مقلاد بحر الهند سنة ١٨٣٩

وفي تلك الاثناء حاول امام صنعاء السيد محمّد يحيى ان يستولي على تهامة ويردّها الى سلطانه فحمل عليها واحتلّ معظم مدنها كالحديدة وزبيد ومخا ونازعهُ شريف مكّة في ملك مخا ففتحها والحقها بالحجاز

وقام ايضاً شيخ ابي عريش السمّى بالشريف حسين طامعاً في توسيع نطاق ولايته فاتفق مع شيخ عسير وسار كلاهما بقبائلها الى تهامة وانتشلوها من ايدي امام صنعاء

الدورة العثمانية في اليمن

ثم قويت شوكة الشريف حسين في انحاء اليمن وعجز امام صنعاء عن قمع سلطته بعد ان ناجزهُ القتال مدّةً فسيّرت حينئذ الدولة العثمانيّة لمحاربته فيلقاً من جنودها في عام ١٨٤٩ يقودهُ توفيق باشا فلم يزل يتعقّب آثار الشريف حتّى اضطرّهُ الى طلب الامان والاذعان الى اوامر السلطان فخلع عليه وجعل له راتباً بقي في حيّز المواعيد المرقوبيّة . واذ اراد ان يطالب بحقوقه شاع بغتة خبر وفاته والله اعلم بسببها (١٨٥١)

فقلّدت حينئذ الدولة امارة ابي عريش الشيخ حيدر ابن اخي الشريف حسين وادخلت بلاد تهامة في جملة ممالكها وعيّنت لتدبيرها احد عمّالها من الباشوات لجعل مركزهُ في الحديدة

ثمَّ رأى توفيق باشا ما صار اليه ائمَّة صنعاء من الضعف فظنَّ الوقت مناسباً ليلحق بلادهم بأملاك الدولة فاستدعى الامام محمد يحيى الى الحديدة وطلب منهُ ان يعترف بسيادة السلاطين على اليمن وان يرضى باقامة ٨٠٠ جندي تركيٍّ كحامية في صنعاء وان يُدعى في الصلاة باسم السلطان عبد المجيد وان تقسم مداخيل صنعاء بين الخزينة السلطانيَّة وولاية صنعاء . فخاف الامام ولم يرَ بُدّاً من الاجابة الى اوامر توفيق باشا فوقَّع على تلك المعاهدة

لكنَّ اهل صنعاء لم يرضخوا لهذه الاحكام وما كادوا يقفون على مضامين المعاهدة ورأوا إمامهم في صحبة توفيق باشا والجند العثمانيّ ولاسيَّا اذ سمعوا الخطيب يدعو في الصلاة للسلطان عبد المجيد بدلاً من ائمَّتهم الزيديين حتَّى شغبوا وثاروا وقتلوا الجنود وخلعوا الامام محمد يحيى ونصبوا بدلاً منهُ الامام منصوراً . ولم ينجُ من ايديهم توفيق باشا الَّا بعد ان أُصيب بعدَّة جراح وفدى نفسهُ بعشرين الف ريال

وبقيت صنعاء في حالة الفوضى بعد ان قاموا على الامام منصور ودعوا مكانهُ غالباً بن محمد يحيى لكنَّ امورهم لم تستتم فكثرت بينهم الاحزاب وزاد الاضطراب وتعدَّدت الجنايات حتَّى ملَّ الجميع تلك الاحوال السيئة وتيسَّر للدولة العثمانيَّة فتح صنعاء سنة ١٨٧٢ على يد احمد مختار باشا فقامت بتدبيرها كما شاءت وخلعت الامام غالباً واقرَّتهُ في صنعاء مع راتب معلوم الى سنة وفاتهِ . وكان رؤوف باشا سبق واستولى على العسير فصارت اليمن كلها تحت حوزة بني عثمان

ثورة حميد الدين ابي الامام يحيى

اعاد الاتراك النظام في صنعاء اليمن فأخلد اهلها الى الطاعة والسكينة لكنَّ عمَّال الدولة ما فتئوا ان هيَّجوا عليهم خواطر السكَّان بظلمهم وسوء تصرفهم الى ان طفحت الكأس وبلغ السيل الزُبى وذلك للضرائب الفادحة التي يثقلوا بها اعناق اليمنيين ولاسيَّما في سنتين توالى فيهما الجدب فلم يستطع الاهلون الى أدائها سبيلاً .

وكان في جملة الذين اصابهم عسف الاتراك رجلٌ من ذرّيَّة ائمَّتهم يُدعى السيّد محمد بن حميد الدين كان اوَّلاً مسجِّلاً في الديوان ثم صار قاضياً ولمَّا رأى ما لحق بمواطنيهِ من العنف والظلم خرج من صنعاء وسكن في الجبال في مقرّ يدعى قفلة

القدر لا ماء فيه بحيث لم يستطع الاتراك ان يجاوزوهُ فدعا اليمنيين الى الاستقلال فلبُّوا دعوتهُ بطيب الخاطر والتزَموا بسيادته فنشر معهم راية العصيان على الدولة (١٨٩١) واخذ يشنُّ الغارات على مواقع الاتراك ويقوي كلَّ يوم سلطتهُ والدولة ترسل شراذم الجند عليه دون جدوى وبقي على ذلك نحو عشر سنوات فمات سنة ١٩٠١ دون ان يدخل صنعاء.

الامام يحيى

قام في منصبه بعدهُ ابنهُ الامام يحيى وعمرهُ لا يتجاوز ٢٧ سنة فاقتدى بابيه وان كان دونهُ ذكاء لكنهُ توفَّق بعزمه الى الانتصار من الترك وطردهم من حاضرة اجداده سنة ١٩٠٥ بعد ان حصرهم فيها زمناً طويلاً فأفنت المجاعة منهم قسماً كبيراً ثمَّ فتك بالطوابير المرسلة لنجدتهم تحت قيادة رضا باشا وغالب باشا وفيضي باشا والتقى بذخائرهم واسلحتهم وتعقَّب آثار من فرَّ منهم الى السواحل حتى كاد يستأصل شأفتهم وكان احد فيالق الاتراك احتلَّ جبل شحارى فسار اليهم محمود ابن يحيى حميد الدين ففتك بهم واخرجهم من تلك الجهات وقتل اليمنيُّون احمد عبيد الحارثي الذي كان انضمَّ الى الترك فساعدهم على الامام يحيى . هذا فضلاً عن الامراض الفتاكة التي انتشرت بين الاتراك فأودت بحياة الالوف منهم حتى دُعيت اليمن بمقبرة الاتراك

فلما رأى السلطان عبد الحميد ان قوى جيوشه خارت دون ضبط اليمن فكَّر في وسائل أخرى يصون بها حرمتهُ ويبقي اليمن في جملة ممالكه فاوفد رسلاً والطافاً الى الامام يحيى ليرقّق قلبهُ بالمجاملة . ثم استدعى الى الاستانة بعض شيوخ اليمن ليطيِّب قلوبهم ويسكِّن خواطر مواطنيهم بوعدهم خيراً وبلَّغ الامام يحيى انهُ يجعلهُ والياً على اليمن مدة عشر سنين باسم الحكومة العثمانية ويعيِّن له ثلاث من الجند ليساعدوهُ في تنفيذ اوامره.

فكانت كلُّ هذه الوسائل لا تقنع الامام وذويه وهم لا يرضون الَّا باستقلال بلادهم . وأُعلن في تلك الاثناء بالدستور العثماني فحاولت جمعية الاتحاد والترقي ان ترضي الامام يحيى بالانحياز الى الدولة وطمعت في عيبه الدستور ونعمة . ولما لم

ينخدع الامام باقوالهم اقاموا له خصماً يدعى الهديّ الذبياني جرت بينهُ وبين يحيى بعض المناوشات ثمَّ اصطلحا على مقاومة الاتراك

فأرسلت من الاستانة قوَّات جديدة الى اليمن وحصلت عدَّة معارك من السنة ١٩٠٩ الى ١٩١١ أُصيب فيها اليمنيُّون ببعض الخسائر . ثمَّ دُعي الامام يحيى مع قومهِ الى الجهاد في الحرب البلقانيَّة فرضي بهِ وتعهَّد بارسال ١٠٠،٠٠٠ جندي للدفاع عن حوزة الاسلام على شرط ان تعترف الدولة باستقلالهِ فوعدوهُ خيراً وتقرَّب الى الدولة لكنَّ الحرب البلقانيَّة انتهت قبل ان ينجز بوعدهِ

ثمَّ أُعلنت الحرب العموميَّة الاخيرة فسحبت الدولة العثمانيَّة جيوشها من اليمن لحاجتها اليهم وبقي الامام يحيى آمناً في بلادهِ . فسعت لديهِ الدول الائتلافيَّة وطلبت منهُ الحياد وبعثت اليهِ تركيَّة واحلافها وولعت لهُ خاطرًا في حكمهِ على بلادهِ مستقلًا لكنَّ الامام اصرَّ على ثباتهِ في ولاء تركيَّة . وذلك في السنة ١٩١٧ وقد استولى على قنفذة من ثغور الخليج العربي . ولم يبلغنا بعد الهدنة خبر عن شؤون تلك الجهات (لهُ صلة)

زجليَّة في وصف الغلاء والجوع والضيق

منذ مائة وثلاثين سنة

نشرها بحواشٍ ومقدمة الكاتب المتفنن عيسى اسكندر المعلوف صاحب مجلة (الآثار)

بعد مرور ثلاث سنوات على الحرب الضَّروس ومشاهدة ما تشيب لهُ رؤوس الاطفال من اهوالها وقع لي توافق غريب . بينما كنتُ ابحث بين مخطوطاتي مستقرياً الحوادث السالفة وما قيل فيها عثرتُ بينها على سفينة وهي دفتر مستطيل قليل العرض فاذا فيهِ زجلية كأنها نُظمت لهذهِ الايام منذ ذلك العهد البعيد واليك الآن وصف هذه السفينة :

هي دفتر بطول نحو عشرين سنتيمترًا وعرض عشرة سنتيمترات يقع في ٧٨

صفحة على ورق صفيق وبخط كنسي جميل كُتب في العشر الأول من القرن التاسع عشر للميلاد وفيه المواضيع الآتية :

١ً زجلية في وصف حوادث جبل الدروز (الشوف) سنة ١٢٠٥ هـ (١٧٩٠م) تقع في١٨ صفحة ناظمها الي ابرهيم درويش بن مرعي القاري المنتسب الى قرية قاره في جبل القلمون وفيها تفاصيل غريبة لحروب تلك الايام ولاسيا الثورة الوطنية في الشوف والمتن

٢ً زجلية في وصف الغلاء والجوع والضيق الذي حصل سنة ١٢٠٦ هـ (١٧٩١ م) بعد مرور ثلاث سنوات على اضطراب لبنان وضواحيه ولم نعرف اسم ناظمها ولكن يظهر من امره انه لبناني مسيحي من قضاء الشوف من جوار دير القمر او منها

٣ً اشعار وتعظيات واناشيد مختلفة بينها ما هو من قلم الشماس زخريا والشماس ابرهيم الطبيب الحناكي والشماس مخايل بروسارية والخوري عنايل البجع الحلبي والشماس نعمه الخوري توما والخوري نقولا الصائغ ويوسف اليهودي وغيرهم مع تخاميس ومدائح لشعراء مجهولين

وعلى الجملة ان هذه المجموعة كثيرة الفوائد رشيقة النظم مختلفة المواضيع بين دينية ومدنيّة وازجال واشعار واناشيد

حوادث الزجليّة المنشورة الآن

هي وصف لما حدث في مطلع القرن الثالث عشر للهجرة وختام الثامن عشر للميلاد ايام نشوب الخلاف بين الامير يوسف الشهابي حاكم لبنان وابن شقيقه الامير بشير الكبير وإلقاء الجزّار الفتن بينهما على حدّ قول الامير بشير لعمّه لما التدبة سفيراً له لدى الجزّار في عكا، وهو : « اخشى ان اذهب اينك واعود ابن الجزّار » فكان كما قال . وكان من اشدّ الفتن اذ ذاك ما حصل بين الامير قاسم حيدر الحرموشي وابن عمه الامير جهجاه مصطفى في حكم بعلبك واستفحال الخلاف بينهما ومحاربتهما وقتل الامير قاسم ثم اشتداد الخصام بين امراء لبنان مما قامت له البلاد وقعدت وانتشرت الفتن في ضواحيه ولاسيا في الشوف والمتن وسيادة الفوضى

والسعايات مما خرّب بعض المدن وقضى بجلاء النصارى منها فكانت فتنة بيروت بين فارس الدهان وابي عسكر يونس نقولا الجبيلي حتى أُقفلت ابواب المدينة وهرب النصارى منها وبقيت عقاراتهم ثمن الالف بمائة قرش. وانتقام الامير بشير من خصومه بتشديد الطلب للضرائب والوزائع منهم وجمع المال بواسطة مدبّريه فارس نصيف الجزّيني وجدعون القرك الدّيري وتقديمها للجزار . وما كان من شرارات الثورة الفرنسية في الشرق وتفشي الطاعون الجارف في القطر المصري وفتنة المماليك وقتل كثير من الامراء والمدبّرين شنقاً وإرهاقاً وقتلاً (قطع رأس) واحراق المنازل وقطع الاشجار حتى اشتدّ الغلاء وكثرت المصادرات وقلّ الأمن وزادت قيم النقود الى مثل ذلك من النكبات والكوارث التي ذكرها المؤرخون . لكنّ ناظم هذه الزجليّة المنشورة اليوم قد صوّرها لنا باسلوبه العامّي الرشيق وحسن استقرائه الحوادث وذكر تأثيرها في النفوس احسن تصوير لم نجد مثله في ما قرأناه عنها . ولا تأثّرنا تلك الاخبار على كثرة ناقليها تأثّرنا من هذه البلاغة الوصفية

وهذه هي الزجليّة كما وردت بالحرف

هذه الابيات قالها احد الأدباء واصفاً بها احوال هذه السنة وما حدث بها من الضيق والغلاء والجوع الصارم الشديد :

أبدا اقول في بيروت جدادْ   والشيرها في كل البلادْ
رقّوا لحالي يا أجوادْ   قلبي تمنّى ودمعي زادْ

قبل الآن كان لي قيمهْ   وكل مقدار حبّه عزيمه
ويدّي سمحه وكريمه   واصحابي نحوي تنقادْ

والآن انبدلت حالتنا   وزالت عنّا نعمتنا
وايضاً قلّت قيمتنا   وصارت في قيمة شحّادْ

سنة مايتين . الف وسته (١   اخدت مدّ الحنطه بسته (٢

(١) يريد سنة ١٢٠٦ ه الموافقة ١٧٩١ م (٢) ست مصاري

وكان بزمان جدّي وستّي باعوا بزلطه (١ سبع مدادْ
ما يكفي ما صار فينا بهذه السنتين هفينا (٢
يا ربي الطف فينا نحن عبيدك يا جوادْ

كنت معتند (٣ لي كم قرش وكانوا كومي مثل الحرشْ
ومكفّي بيتي مونه وفرش وكسوه مليحه ثياب جدادْ

مرّ علينا ثلاث سنينْ وثلاثتهم ملعونينْ
بلص (٤ وحرب وجوع مسكينْ وهذه هي ضربات شدادْ

اسمع ما صار من سنتينْ بلصوني بالف ومايتينْ
وغالبها قد كانت دينْ يا ليت جدعون آغا (٥ بادْ

ماذا اخبركم عنهُ يا ما قاسينا منهْ
كل الناس بتلعنهْ حتى الرهبان والعبادْ

وعام الماضي (٦ كان حروبْ ومن الدوله قلبي (٧ متعوبْ
فارس ناصيف (٨ المغضوبْ يبليه ربّي بالانكادْ

وهذه الايام قد حطّتْ على هاتيك وقد وطّتْ (٩
وطبول الجوع لقد غطّتْ على ثايات (١٠ ذاك الميعادْ

---

١) الزلطه عند العامة ثلاثون مصرية ٢) متنا جوعاً ٣) موفّر د
٤) المصادرة بالمال ٥) هو جدعون آغا الترك مدبّر الامير بشير الشهابي
٦) يريد سنة ١٢٠٥ هـ (١٧٩٠ م) التي كثرت فيها وفي ما قبلها الفتن بين الامير يوسف والامير بشير والامراء الخرافشة وامراء وادي التيم فقتل كثير وشُرّد الآخرون واشتدّ الغلاء وكثر الطاعون في مصر وكانت الحروب في فرنسة بثورتها الخ وقد وصفها احد الرجاليين كما مرّ في المقدمة مطولاً ٧) في الاصل «قلبي»
٨) يريد فارس ناصيف الجرّبي الذي كان من مدبري الامير بشير الشهابي ايضاً
٩) تقول العامة «حطّ ووطّى عليه» اي نزل به من زاد عليه ونحو ذلك
١٠) من اساليبهم «انا الطبل غطّى عالناي» يعني زاد في الطين بلّة او في المشهور نسمة

راح زمان وجاني زمان ضيّق سكّرت الدكّان
وبعده روّحت (١ الفدان وبعت السكه للحدّاد

ايام سودا مثل القير والمونه خلصت بكّير (٢
ولولا القره والجرجير (٣ كنا درنا بارض زوّاد (٤

حالتنا صارت مُعْرِه من الموت على وجهي غبره
وكانت كسره بلا جُبْرِه تفهموا قولي يا اسياد

عيسى سيف (٥ مفهوم الجوع في فكري صاير مطبوع
وقلبي من جوره مقطوع وواصل في كل الاكباد

كان عندي حالوش (٦ وفاس وطنجرتين ودست نحاس
فبعت الكل من الافلاس حتى النرشه واللبّاد (٧

آها من ديق (٨ الأوقات من عوزي بعت القرشات
عيله كبيره خمس بنات وامراتي مع خمس اولاد

سم امراتي زاد الخير السنه ولدت زال الخير
صاروا سته يا اهل الخير ونحني يزود عددهم زاد

لِنْ التدبيات والكيف (٩ قد لاشاهم عيسى سيف
لا تسمع الّا يا حيف (١٠ من شان الله داد مداد (١١

١) عند العامة بمعنى باع ٢) القير الزفت. وخلصت بمعنى نفدت وبكّير اي باكرًا
٣) من النباتات التي تكون على شاطئ المياه او في الرجا وهي تكثر في لبنان
٤) اي الاموات الاقدمون او جزيرة ارواد قصاصاً لها تضرب المثل عند اللبنانيين بها للبعد او التحقير ٥) تكنّي العامة في الافلاس والجوع والضيق باسم (عيسى سيف)
٦) الحالوش منجل الحصاد ٧) هو بساط صوفي ملبّد ٨) اي ضيق (بالابدال)
٩) الكيف عند العامة بمعنى الانبساط والسرور وكيّف الرجل اذا سُرّ وخاصة اذا شرب وطرب ١٠) وحيف كلمة توجّع عند العامة
١١) داد مداد اصلها مختزلة من قولهم: (امدد امدد) عند الاستغاثة

وبطلنا كل الاشغالْ وحصلنا على هذه الحالْ
ورطل الخبز يباع بريال (١ اسمه خبز ولونه سوادْ

وبطلت القرضه والدَّينْ ما عادوا يعطوا قرشينْ
ومن يوجد عنده مديْنْ خناهم في هذا البلادْ

وتعطل شغل النجارْ وباع القدّوم والمنشارْ
والحايك ثم البيطارْ باعوا الآلهْ والإعدادْ (٢

والصايغ ثم العطارْ والبايع ثم الجزّارْ
والصبانين والتجارْ والقرداحي (٣ والحدّادْ

والمقادين والطبّاعْ والشرابين والبيّاعْ
والغاية كل الصنّاعْ حصلوا في سوق الاكسادْ

وبطلت كل الكيفيّاتْ ومعها جميع التنزيهاتْ
لا فيه عرس ولا عزيماتْ (٤ فكل شي من هذا ما عادْ

وارتفعت كل الاسعارْ جوع وضيق مثله ما صارْ
كثيرين ماتوا يا ستّارْ (٥ لمّا عدموا أكل الزادْ

اخذت لولادي رطل طحينْ فول وكرسنه وودْنينْ
بمصريات خمسة وستينْ وعجناه قشّي (٦ ما زادْ

وخبزناه بلا تنّورْ وحطينا الباب ناطورْ (٧
ما كفانا نصف فطورْ وكان غايبنا ابني عمادْ (٨

١) الريال في عرفهم قرش ونصف ٢) اي العُدّة والادوات
٣) القرداحي هو الحدّاد الذي يشتغل بالعدد والاسلحة ولعلّ القَين تؤدي معناها . ويقال القرداحي على النسبة التركية ايضاً ٤) جمع عزيمة بمعنى دعوة الطعام
٥) كلمة « يا ستار » للترحّم بمعنى يا الله يا ساتر
٦) قشّى العجين ونحوه اذا انتبر وانتفخ ٧) حارس وحافظ وحاجب
٨) غايبنا اي غائب منا وخصّ ابنه هذا بالذكر لانه الاكبر فهو يأكل أكثر من اخوته

شمّوا ريحتنا الجيران لمّا ان شافوا الدُخانْ
اتونا قالوا اعطونا احسانْ او عيرونا بنيّ رداد (١

قلت لهم نحنا مساكينْ الآن اولادي عريانينْ
قلعوا ثيابهم الوسخينْ عمال نغلي بالقدر رمادْ (٢

اخدت حدش نصف وقيه بجذبي وبجاني (٣ إشاعيه (٤
عشر دراهم بمصريه خمسين حبه بالتعدادْ

ولم يبقى للرز وجود والبرغل ايضا مفقودْ
ورطل القول بخمس عدود (٥ الاخضر عن امه يا جوادْ

والعدس نصف وقيه شامي (٦ انباع بمصريّه
ومنبع اخدنا تنيه (٧ بعشر مصاري بالف جهادْ

وجنس الحلو فصار مطلوب فلا يوجد غير الخرنوبْ
ارطال بلطه يا حبوب اكلت وقيه صار لي سدادْ (٨

وتسكرت صيدا وبيروت (٩ وما عاد يخرج منهم قوتْ
وتيقنّا انّنا نموت جوعاً من قلة الزادْ

من الغلا نحن عليّنا وتربطت ايادينا (١٠
ولو ان ضاقت فينا قلنا نروح لغير بلادْ

سألنا عن حالات الشامْ قالوا ما فيه جنس طعامْ

١) اي عونوا ان تعيد اليكم الاعارة
٢) في هذا الاشارة الى ... من وجود ما يطبخ عنده ... عدم وجود الصابون ... ... بالرماد ٣) عن قشر ... يعز على نصيبي ونفسي
٤) الشاهيه قيمتها ثلاث بارات ... ارة
٥) العدّ خمس بارات وجمعها عدود ٦) كان الوزن الشامي غير الوزن الحلبي والباقي
٧) مكيال هو ثُمْن اي نصف ربع الله ٨) مرض يسمّى ريح السدد
٩) اي بيروت حرقها الوزن ١٠) تربطت الايدي اي انقطعت عن العمل والسعي

وكم فيها ماتوا سيادْ	الأكل حشيش بغير إدامْ (١
قالوا هذا كلام جنانْ (٢	قلنا نروح لبلاد حورانْ
ونحن على ذلك شهادْ (٣	التبن يبيعوه بالميزانْ
ماذا عنها من الاخبارْ	قلت وعكا يا اخيارْ
وكل ساعه رايات (٥ جدادْ	قالوا بلطة الجزّارْ (٤
قال لها ساكتين خرابْ	قلنا بعلبك يا اصحابْ
وجهجاه غير ممكن ينكادْ (٧	لا غلّات ولا اكسابْ (٦
قال قاطعهم عيسى سيفْ	قلنا حمص وقراها كيفْ
ولن يوجد فيها اجوادْ (٨	بزمان الخير لم يقروا ضيفْ
وناكل من هناك كماه (٩	قلنا نقطع لارض حماه
تموت الجوع بغير ميه	قالوا رايك ما قبلناه
فعيسى سيف هاقي	وطرابلس لا تطريها (١٠
فلن يوجد غير الكبادْ (١١	من يومين كنّا فيها
قولك فيها كيف يكون	قلنا وبلاد البترونْ
ما فيها غير معزي وسوادْ (١٢	قالوا لا شك انك مجنونْ
قالوا بثلاثين الكيل	قلت ذم وبلاد جبيلْ
وذاك بلاد وهذا بلادْ	والناس حالتهم بالويلْ

١) الادام اللحم والزيت والسمن ونحوه ٢) جنون ٣) شهود
٤) يريد ان القاسي الملقب بلطة هي داة محددة لقطع الرأس
٥) جمع رأي اي آراء ٦) اي ارباح
٧) اي ان الامير جهجاه الحرفوش لا ينالـ... ٨) لا تمدحها لانها تخلو من الاضافة الحسنة
٩) الكمء لانه يكثر في تلك الجهات ١٠) اي لا تقصدها ولا تذكرها بالخير
١١) لكثرة حدائق الليمون والاترج فيها
١٢) تكثر الماعز في بلاد البترون لكثرة اشجارها وغاباتها والسواد هو العبيد

قلت علينا باستنبولْ قال لا شك انك مهبولْ (١
ما صاير لك اكلة فولْ فاين الزواده والزادْ

اوفق لك سكنى بلادكْ ويبقوا لك اولادكْ
وفيهم بتنال مرادكْ ويفرجها رب الاعبادْ

رأيت ان هذا راي نصيحْ كلام محبه وقول صحيحْ
منقضيا (٢ وحيش ومليحْ من البور حتى يصير حصادْ (٣

وغير الملح ما عدنا نموزْ ونصف وقية زيت بكوزْ
وبلاهم (٤ ايضاً بيجوزْ على اكل الخضره (٥ نعتادْ

ولا حاق فينا [illegible] عملت لزادي خمس اكياسْ
وطلبنا صدقات الناسْ وصرت ايرم (٦ مثل الشحّادْ

رحنا قصدنا دار الميرْ (٧ وكان رجانا فيه كبيرْ
بالجهد عطونا رغيف شعيرْ وقالوا روحوا بغير طرادْ (٨

ثم توجهنا للدّيرْ (٩ انا وامراتي لا غيرْ
قلنا الرهبان عمّالين خيرْ عطوني طلمه وقالوا بعادْ (١٠

وقصدنا بيت الاصحابْ بوجهي قاموا غلقوا البابْ
فصرت ابكي ودمعي تسكابْ على ذلك . ما انا معتادْ

ولم يوجد من يعطينا ولا من يشفق فينا

---

١) اي مختل الشعور ويقولون اهبل وهبله ايضاً والاولى تحريف ا بهلول)
٢) منقضيًا اي نصرفها بحالتي الرخاء والشدة
٣) اي من قبل الفلاحة للزراعة الى ان يصير حصاد المزروعات
٤) بدونهم ٥) البقول والمشيش ونحوها ٦) ادور
٧) الامير بشير الشهابي الكبير ٨) بدون طرد
٩) يريد الدير القصر التي كان فيها رهبان دير القلعة او الدير المجاور كمشيق ونحوه
١٠) الطلمه الرغيف المستدير السميك . وبعاد يعني ابعد

حتى من الجوع هفينا   وكل يوم الضيقه تزداد

اشتدَّ الجوع وزاد الضيقْ   وما عدنا نعرف لصديقْ
كم ليله نمنا على الريقْ (١   وما عرفنا بالليل رقادْ
تحقيق لي شهر ايامْ   لم يدخل في فمي طعامْ
أما هذا يا ربي صيامْ   فقرّبنا نحو الاعيادْ

ومن عشرين يوما ويليفْ   على حظلي ما كسرت رغيفْ
من الجوع صار جسمي نحيفْ   وضعفنا أرواح وأجسادْ

وضامتنا هذه الغلّه   وفي بيتي ما فيه غلّه
فصرنا نشتاق للمآه   تكون مخبوزه خبز جمادْ (٢

آه على اكلة لبنيه   وعشرين كبه محشيه
وانعشى عشره هنيه   قبل ان انزل بالالحادْ (٣

هذا بطلب من ربيْ   يرزقني اكلة كبه
من البرغل ما فيه حبه   فشهوات قلبي عني بعادْ

صرنا ندور في البريه   من بكره لعند عشيه
ناكل عشب وقدريه   وخبّيزه ورشادْ (٤

من صدق انا منعيشْ   وغدانا وعشانا حشيشْ
بيض حليب وجبن قريشْ   موجود لكن في بغدادْ
تشوف الناس متل القطمان   في البريه والوديانْ

١) على الريق اي بدون طعام
٢) الله معروفة وخبز جماد اي عفن بالشمس دون نار
٣) اي القبور
٤) القدرية هي المروة: عند بعض العامة اسم ينطبون دوي يونانية عرقة مرجا لسان الثور ويسمونها كذلك في لبنان ايضاً . والرشاد بقلة معروفة

كل واحد عامل شقبان (١ نسا ورجال بنات وولاد

وصاروا من ديقة الاوقات ياكلوا من لحم الحشرات
ولحم الزلحف والحيات والقنفد من غير القباد (٢

وكثيرين من ديقتهم والجوع اتبدلت خلقتهم
تراهم رقت نغمتهم مما قاسوا من الاجهاد

بعلمك كانوا اولادي ملاح وخلقتهم مثل التفاح
قد صاروا شبه الوحواح (٣ اذا وشيت عليه رماد

وقد ماتت بنتي مرجان وتاني يوم ابني دشوان
قبرناهم من غير أكفان وخلقتهم أمرائي (زاد ..)

وتبقى اربع صبيان عماد وايوب مع سرحان
وخمس بنات وسلمان جمله تسعه بالتعداد

هذا الضيق مثله ما صار بمصر ولا كل الاقطار
ولا بزمن ايليا البار ولا جا في عهد الاجداد

قد ضاقت الخلائق كتبت القوالي بالوراقي
وشهرت للبيدر باقي لا بد يفرجها الجواد

هذه السنه ارختاها ومصايبنا شرحناها
وفي الدفتر سطرناها ليقروها أولاد الأولاد

تمت

---

١) الشقبان ذي العباءة وغيرها الى الاعلى ليوضع فيها شيء وهي من عادات نساء العرب يوم مرور عرّف التبكان وهي الحبال المتشبكة كالجوالق يوضع فيها الحشيش ويحمل

٢) الزلحف السلحفاء يعني السلاحف وتسمى ايضا الجاوية عند العامة . ومن غير القباد اي بدون مانع

٣) الوحوح عند بعض العامة يعني الشيء المصغر كالحجر والنبات

كتاب الكتّاب لابن درستويه

عُني بنشره الاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

الباب الرابع

هذا باب الوَصل والفَصل وفصولها

١ شروط الوَصل والفَصل والأصلُ الذي يُبنَيان عليه

اعلم انّ كلّ حرفٍ من حروف المُعجَم يُوصَل بما بعدهُ من الكلمة التي هو فيها ويُفصَل منها الأستةَ احرف من المعجم لا تتَّصل بما بعدها البتَّة (١٩ᵃ) وان كانت في كلمةٍ واحدة : الأَلِفُ والدالُ والذالُ والرَّاء والزَّايُ والواو . والكلام مؤلَّف من جميع الحروف وحقُّ كلّ كلمة تقع مفصولةً في الكتاب ممَّا قبلها وما بعدها ليدلَّ كلٌّ على ما وُضع له مفردًا الَّا أنْ يقع قبل الكلمة او بعدها كلمةٌ على حرفٍ واحد فيجب وصلُها بها لأنَّ العرب لا تنطقُ بحرفٍ واحد مفردًا فيُبتدأ به ويُوقَف عليه وكذلك يجب ان لا يُفرد مثل ذلك في الكتاب اتباعًا للَّفظ الَّا ان يكون حرفًا من الحروف الستَّة التي لا تتَّصل بما بعدها

٢ ما يُوصَل من الكلِم الذي على حرفٍ واحد بما بعدهُ لأنَّهُ لا يَنفرد

فممَّا يوصَل بما قلنا لامُ الإضافة وباؤُهـا وكافُها في قولك : لِزَيدٍ وبِزَيدٍ وكزَيد . وقد أُفرِدت اللام في بعض المصاحف في قوله (١: ٤٠) فمالِ الَّذينَ كفروا * فلو كان صوابًا لجازَ للقارئ أن يَقِف على اللام ويبتدئَ بما بعدها . ولا يقرأُ بهذا الَّا جاهلٌ بالقراءة . ومنهُ لامُ القَسَم وتاؤُهُ في قولك : لَزَيدٌ أفضلُ من عمرو . وتاللهِ تَفتأُ (١٩ᵇ) تذكُرُ يوسفَ . والواو مثلها في المعنى وان لم تتَّصل في الكتاب .

---

١) سورة المعارج ٣٦

وكذلك همزة الاستفهام . ومن ذلك فاء العطف كقولك : دخلتُ الكوفةَ فالبصرةَ . والواو في اللفظ وفي المعنى مثلها الّا في الخطّ ومن ذلك السينُ في قولك: سيَفعل . ومنهُ لامُ التعريف لأنّها على حرفٍ واحد وانّما لحقها الفُ الوصل لسكونها وذلك كقولك : الرَّجلُ والمرأةُ . وقد غلط الراجزُ فأفردها في اللفظ لمّا رأى الفَ الوصل معها فظنّ انّها على حرفين وشبّهها بقَدْ ونحوها فقال :

دَعْ ذا وعجّلْ ذا وألحِقْ ذا بذَلْ بالشحم انّا قد مللناهُ بجَلْ

ولا يُعمَل على الغلط وكذلك سبيلُ ما كان اصلهُ اكثرَ من حرفٍ فحُذف حتّى لم يبقَ منهُ الّا حرفٌ كميمِ القَسَم في قولهم : « مُاللهِ » تُكتَبُ موصولةً لأنّها مثلُ الباء في « باللهِ » . وكان اصلُها « مِنْ » فحُذفت النون في اللفظ كما حُذفت في مِن الخافضة في قولهم « مِالقومِ » يريدون « مِنَ القومِ » وحكمُ كتابها واحد في القياس ولا يجوز افرادُ الميم في الخطّ لأنّها على حرفٍ فلا ينفرد في اللفظ ولا أن توصَلَ بلامٍ فتُكتَبَ « ملقومِ » ولا ان تُحذَفَ الفُ الوصل ويوصَلَ الميمُ بلام التعريف فيُكتَبَ « بلْ قومِ » ونظيرُ هذا (٢٥٠) قولهم : « بنو فلانٍ عَلْماء » يريدون « على الماء » وقياسُها واحدٌ . قال الشاعر :

غداةَ طَفَتْ عَلْماءِ بَكْرُ بنُ وائلٍ وعاجت صدورُ الخيلِ نحوَ تميمِ

وممّا يتّصل به ما بعدهُ كلُّ فعلٍ وقع قبلَ علامة الإضمار كقولك : فَعَلْتُ وفَعَلْتَ وما تفرَّعَ منها والاسماء المضافة الى مثل ذلك كغلامِكَ وغلامي وغلامِهِ وما تفرَّعَ منها . والافعال والحروف الناصبة مثلُ ذلك كقولك : ضربتُكَ وضربتُهُ . وانّكَ وإنّهُ وما تفرَّعَ من ذلك فزاد على حرفٍ واحد . وما وقع قبل النون الخفيفة او الثقيلة كقولك : « لأضربَنْ ولا تضرِبَنَّ زيدًا » او قبل علامة تثنية او جمع او تأنيث وما اشبه ذلك . فان كان شيءٌ من الحروف التي ذكرنا على حرفين واكثر من ذلك غيرَ علامات الإضمار وجب ان ينفصل في الكتاب لأنّهُ ينفردُ في الكلام الّا ما عرض له من ذلك امرٌ يوجب وصلَهُ . فما ينفصل من حروف الاضافة قولك: من زيدٍ وفي عمروٍ . وفي حروف القسم من : واللهِ وايمُ اللهِ . ومن حروف العطف : لقيتُ زيدًا ثمّ عمرًا . ويدل السينَ في سيفعل « سوف يفعل » . فهذا اصلُ جميع ما

يوصل او يُفصل ثم يُنحى نحوهُ بكل ما كثر استعمالهُ فوصلهُ (٢٠ب) الكُتّاب فهما الشبهة او قاربة أُجيز ومهما خالفة او باعدهُ أُحيل . فن أكثر ما يوصلون « لا وما وغيرهما » ولهنّ مواضع يجوز ذلك فيها لضرب من القياس وربما شبّهوا بذلك ما ليس مثلهُ فوصلوهُ وسأبيّن ذلك كلّهُ ما جاز منهُ وما لم يجز ان شاء الله

٣ ما يُوصل منها بما خاصّةً وما يُفصل منها

امّا « ما » فقد تقع في الكلام ملغاة عند عامّة النحويين لو حُذفت لما تغيّر معنى الكلام بحذفها وانّما يؤتى بها توكيدًا كقوله عزّ وجلّ (١ : « فبما رحمةٍ من الله » فلو قيل « فبرحمةٍ » تمّ المعنى وان ذهب التوكيد . وكقولهم : « آتيك يومًا ما » لثاب عن ذلك . وكقول مُهلهل :

لَوْ بِأَبانَيْنِ جاءَ يَخطِبُها ... رُمِّلَ ما أَنفُ خاطبٍ بِدَمِ

فلو لم يأتِ بما لكان المعنى تامًّا ولكنّهُ أكّد بذلك وبالغ واستوفى بما وزنَ الشعر . فاذا كانت بهذا المعنى او كانت بغير صلة ووقعت بعد الاسماء المبهمة وغيرها او بعد حروف (٢١أ) المعاني شُبّهت بالحروف التي لا تُفرد اذ كان المنطق بها لا يفيدُ معنًى ولانّهُ كثر استعمالها مع هذه الاشياء حتّى صارت كأنّها منها فوُصلت بها ولا يجوز وصلها بما خالف ما وصفنا

٤ ما يُوصل من الحروف بما وما يُفصل منها

فن حروف المعاني التي توصل بها « إنّ وأنّ وليتَ ولعلّ وكأنّ ولكنّ » اذا وقعت بعدهنّ على ما فسّرنا كقول الله عزّ وجلّ (٢ : « انّما انتَ مُنذِرٌ » . وكقوله (٣ : « كأنّما أُغشِيَتْ وجوهُهم قِطَعًا من الليل مُظلمًا » . وكقول الشاعر :

قالت ألا ليتَما هذا الحَمامُ لنا ... الى حَمامتنا ونصفُهُ فَقَدِ

١) سورة آل عمران ١٥٣
٢) سورة الرعد ٨ ٣) سورة يونس ٢٨

وكقول الآخر :

تجلّلْ وعالجْ ذاتَ نفسكَ وانظرَنْ أبا جُعَلٍ لعلّها أنتَ حالِمُ

وكقولك : « لكنّا أنا أخوك » . يكتب كلّ هذا موصولاً فان وقعت بعد هذه الحروف بمعنى الذي لم يجز وصلها وذلك مثل قوله (١ عزّ وجلّ (٢٢) : انَّ ما توعَدونَ لآتٍ » . ومثله قولك : « ليتَ ما عندَ زيد عندنا . وكأنَّ ما يكفيك لا يرضيك . ولعلّ ما تريد لا يكون » كلّ هذا يُفصَل لأنّها هٰهنا اسم تامّ له صِلة فلو أُلقيت لم يجز ذلك لأنّها لا تشبه الحروف . وتوصل ايضاً رُبَّ مع هذه الحروف نحو قول الشاعر :

ربّما أوفيتُ في علمٍ ترفعنْ ثوبي شمالاتُ

واذا ألحقتَ رُبَّ التاء فهي كذلك ايضاً مثل « رُبَّتما » موصولين على كلّ حال لأنّ ما بعدها تكون بمعنى الذي . وكذلك هي بعد كيْ لأنّها مؤكِّدة لو حُذفت لم تُخِلّ بالمعنى . وذلك قولك : « زُرْني كيما أزُورَك » ولا يجوز ان توصل بفي عندنا كقولك : « رغبتُ في ما عند الله » لأنّها بمعنى الذي هٰهنا ولكنّها توصَلُ بها اذا كان ما بعدها استفهاماً وحُذفت ألفها من اللفظ لأنّها حينئذٍ على حرف واحد فلا تنفرد وليس فيها معنى الذي . وذلك قولك : « فيمَ انتَ » فان وقفتَ الميم بهاء الوقف فكتبتَ « في مه » لم يجز وصلها لأنّها قد تنفرد مع الهاء . وان جاءت ما المؤكِّدة التي لا صلة لها بعد « في » جاز وصلها بها فأمّا من وصلها بها على كلّ حال فانّما شبّهها بمِنْ وعَنْ لانهما حرفا جرّ مثلها وهي (٢٢) على حرفين وذلك رديء والقياس ما قلنا لأنّه يقع في « مِنْ وعَنْ » إدغام مع « ما » وليس ذلك في « في » وكذلك « حتّى مه » والى مه وعلى مه » في الاستفهام اذا لم توصل ما بالهاء وُصلت بما قبلها فكتبت « حتّامَ والامَ وعلامَ » والدليل على وصل هذا ردّ الياء ألفاً كما هي في اللفظ وامّا « أمْ ولمْ وعَنْ وإنْ وأنْ (الخفيفتان) ومِنْ » فقد يقع ما بعدهنّ ملغاة وغير ملغاة إلّا أنّها توصل على كلّ حال من أجل انّ الادغام يلحقها فيصلها في اللفظ ايضاً وهنّ حروف فكان كتاب حرف أخفّ من كتاب حرفين كما كان النطق بحرفٍ

(١ سورة الأنعام ١٣٤

مدغم الخفّ من النطق بحرفين مخاطَين وذلك مثل قول عبد يغوث :

فيا راكباً إمّا عرضتَ فبلّغن   ندامايَ من نجرانَ ألّا تلاقيا

ومنهُ قول الله عزّ وجلّ (١ : « ممّا خطيئاتهم أُغرقوا فأُدخلوا ناراً » . و « عمّا قليلٍ » (٢ . و « ألّا يعلمِ الله الذين جاهدوا منكم » (٣ . وقول ابي ذُؤَيب :

أمّا لجنبكَ لا يُلائمُ مضجعاً   إلّا أقضّ عليك ذاك المضجعُ

فأجبتُها أمّا لجسمي أنّهُ   أودى بنيّ من البلادِ فودّعوا

فامّا في البيت الاول هي « ام » و « ما » وفي البيت الثاني « أن » و « ما » ففي « ما » (٢٢) بيّنّا من الحروف الموصولة بما دليل على ما لم نذكرْ.

٥ باب ما يُوصل بما من المُبهمة وما يُفصل منها

ومن الاسماء المبهمة الظروف التي توصل بما وهي « أين وكيف ومتى » اذا لم تكن بمعنى الذي وجاءت مؤكدة كقوله جلّ ذكرهُ (٤ : « أينما تكونوا يدرِككُمُ الموتُ » . وقولك : « كيفما تصنع اصنعْ » . و « متى ما تأتني آتِكَ » فقصة « متى » في الوصل قصة « حتّى وعلى والى » تردّ الفها وهو القياس . وذلك مثل قول الهُذَليّ :

متى ما تَلَقَ زهير العو   تر أجمّلتكَ وَهْطاً على حُيَسْرٍ

الرهط في هذا البيت جلد تلبسهُ الحائض . فان كانت بمعنى الذي وزال معنى الجزاء فُصلتْ كقولك : « أينَ ما وعدتَنا » تريد الوقت الذي وعدتَنا « وكيف ما قبلكَ » تريد الذي قبلكَ . واذْ ما واذا ما في المعنى لا في الخط مثلها لأنّ الذال لا تتّصل بما بعدَها . واما حيث فيجب أنْ توصل بما على كلّ حال لانّ « ما » لا تكاد تقع بعدها مستغنية (٢٣) عنها . ويدلّك على ذلك انّ قولك « حيثما شئت » بمنزلة قولك « حيث شئت » . ومنها من هذا الباب وانّما هي « ما ما » فالأولى اسم مُبهم بمنزلة أين ومتى . والثانية بمنزلة ما التي بعد أين ومتى وأبدلت الهاء من الالف

١) سورة نوح ٢٥
٢) سورة المؤمنين ٩٢
٣) سورة آل عمران ١٣٦
٤) سورة النساء ٨٠

استثقالًا لتكرير الحرفين وصارت الكلمتان كالكلمة الواحدة . ولا تقع مهنا في غير الجازاة فلا تكون الّا موصولة . وفي ما ذكرنا من المبهمة دليل على ما لعلّه شذّ منها

٦ ما يُوصَل من المتمكّن بما وما يُفصَل منها

ومن الاسماء المتمكّنة التي توصل بما « كلّ » . وذلك انّهُ اسم للإحاطة يؤكّد به . فلمّا وقع في جميع الاشيا . وكان تابعًا ضارعَ الظروف المبهمة وكثُر مع ذلك استعماله فشُبّه بالأدوات من الحروف فاذا أُعمل فيه ما بعدهُ وجُوزي به وكان ظرفًا او ضارع الظروف وُصل كقولك : « كلّما جئتني أكرمتُكَ وكلّما سألتني أعطيتُكَ » . وكذلك ان كانت ما لغوًا نحو : « انت أكلُ من كلّما رجل . وهي أجملُ من كلّما أمرأة » . واذا أُعمِل فيه ما قبلَهُ وابتُدئ به ولم تكن فيه مجازاة ولا مضارعة للظروف (٢٣ د) ولا كانت ما لغوًا فُصِل كقولك : « كلُّ ما سألتني مبذولٌ لك . وكلُّ ما جئتني مرّتان . وكلّ ما لكَ ألفان . ورضيتُ بكلّ ما صنعتَ . وقبلتُ كلَّ ما قلتَ . ولك كلُّ ما عندي » . وامّا « مع » فانّهُ وان كان ظرفًا لازمًا له النصب فليس بمبهم لا صلة له ولا وقعتْ فيه مجازاة وليست ما بعدهُ كالملغاة بل هي موصولة كالذي ومعَ مُضافٌ اليها فلا يجب وصله بها ومن وصلَهُ لاضافته على التشبيه بكلّ لزمهُ وصلُ كلٍّ اذا كان لغير مجازاة ولا مضارعةً للظروف . وامّا « ايّ » فاشدّ مضارعةً للمبهمة من كلّ لانهُ يُستفهم به ويُجازى به فيكون بغير صلة فوصلهُ بما اوجبُ اذ لم يكن ما بمعنى الذي كقول الله جلّ وعزّ [١] : « ايّما الأجلَين قضيتُ » . ولا توصل اذا كانت بمنزلة الذي كقولك : « ايُّ ما عندك اجودُ » . وكذلك « بينما » التي للمفاجأة كقول الشاعر :

بينما يَشتمُني أبصرتُني دونَ قيدِ الميلِ يعدو بي الأغرّ

وقال الآخر :

بينما نحنُ مُرتعون بفَلجٍ قالتِ الأُلعُ الرُواءُ أنى آيِ

---

[١] سورة القصص ٢٨

توصل لأنّ المفاجأة مضارعةٌ للمجازاة ولأنّ « ما » التي مع بَيْنَ التي (24r)
المفاجأة تضارعُ « اذ » في قول الشاعر :

فبينَاهُ يَشْرِي رَحْلَهُ قالَ قائلٌ ... لِمَنْ جَمَلٌ رِخْوُ المِلاطِ نَجيبُ

والالف لا تنفرد . فان كانت لغير المفاجأة لم يَجُزْ وصلُها كقولك : « بَيْنَ ما
اقولُ وبينَ ما تقولُ بَوْنٌ » . وامّا « ما » التي مع « أيْنَ » في قول الشاعر :

لَقيتُمْ بَنُ أبَانَ من أخيهِ ... فكانَ ابنَ أختٍ لهُ وابْنَما

وفي قول الآخر :

« فكنتُ لهُ أمًّا وكانَ لِيَ ابْنَما »

فانّها ميمٌ مزيدةٌ على « ابنٍ » فلمّا نُصِبَ الاسمُ لَحِقَها الفُ التنوين فأشبهت
« ما » . وهذا يُذكَرُ في موضعهِ ان شاء الله . فهذا قيـاس ما وصلتَ بِما من
المتمكّنة وفيهِ دليلٌ على ما لم نذكرْهُ فافهمْ ذلك

٧ ما يُوصَل من الافعال بِما وما يُفصَل منها

وممّا يُوصَل من الافعـال بِما « نِعْمَ » و« بِئْسَ » لمّا كانا عبارةً عن كلّ مدحٍ
وذمٍّ وغَنِيَا عن امثلة الافعال فأُجرِيا مَجرى الأدوات ضارَعا الحروف ولم يقع (24v)
ما بعـدهما ايضا بمنزلة الذي وكانت نِعْمَ تُدغَم في ما في اللفظ كقول الله جلّ
وعزّ ١) : « نِعِمّا يَعِظُكُم بِهِ » وقالت العرب : « غَلّهُ غَلًّا نِعِمّا » فوجب وصلُها في
الكتاب وان لم تُدغَم لادغامها احيانًا مع ما ذكرناهُ . وأُجريتْ « بِئْسَ » مجراها
لأنّها مثلُها في كلّ شيءٍ ما خلا الادغام وذلك « نِعْمَ ما فعلتَ » غير مُدغَم .
و « بِئْسَ ما فعلتَ » ولا يجوز ان يوصَل ما اشبهَهما من الافعال بِما كقولك :
« حَسُنَ ما جِئتَ بهِ . وعَظُمَ ما أتيتَ بهِ » ولا مثلُ « طالَ ما » و « قلَّ ما »
وان سكّنتَ اوساطَها وكثُرَ في الكلام لأنّهما لم يغنَيا عن أبنيتهما ولم يقعا عبارةً
عن كلّ شيءٍ . وليس فيهما ما في « نِعْمَ وبِئْسَ »

١) سورة النساء ٦١

٨ ما يوصَلُ بِمَنْ خاصّةً وما يُفصَل منها

واعلم انّهُ لا يجوز ان يوصَل بِمَنْ شيءٌ مما وُصل بِما لأنّ « مَنْ » لا تكون حرفاً من حروف المعاني ولا تُلغى ولا تكون اسماً لغير ما يعقل ولم تكثر في الكلام كثرةَ « ما » فلا يُكتَب مثلُ « إنَّ مَنْ وليتَ مَنْ ولعلَّ مَنْ وكأنَّ مَنْ وكيفَ مَنْ وأينَ مَنْ وربَّ مَنْ وكلَّ مَنْ ومَعَ مَنْ وأيَّ مَنْ » (٤٥ ظ) الّا منفصلاً كما ذكرنا الّا ان يكون قبلها شيء من الحروف التي على حرفين وآخرها مما يُدغَم في ما بعده مثل « بِمَنْ ومِمَّنْ » وانّما ذلك للادغام . ولا يوصَل بها « كم » وان أُدغمت في اللفظ لأنّها اسمٌ ولأنّها لم تتمكن توصل ايضاً بما في قولك : « كمْ ما عندك » لذلك وكيلا يُشبِه كافَ الجرّ اذا وُصلت بما . ولا توصل بها من نفسها اذا قيل « مَنْ مَنْ في الدار » فمَنْ وَصَلَ بِمَنْ « في » و « مع » لزمهُ ان يَصل بها « ربَّ » و « كلا وليما » . ومن زعم انّهُ يصل بِمَنْ في الاستفهام شيئاً من ذلك كقولك : « فيمَنْ ترغب » « على قياس » « فيم انتَ » فقد اخطأ لأنَّ النون لا تُحذَف في مَنْ للاستفهام كما تُحذَف الفُ « ما » وليس يُشبِهُ هذا ذلك ويلزمهُ ان يفعل ذلك في « الى » و « على » ونحوهما في الاستفهام مع مَنْ ولا يكتُبُ هذا احدٌ والصوابُ ما بيّنّا

٩ ما يوصَلُ بِلا خاصّةً وما يُفصَل منها

واما « لا » فتدخل على جميع الاسماء والافعال فتكون عاملةً فيها وغيرَ عاملةٍ ويكثر استعمالها لذلك وهي حرفُ معنًى ايضاً ولفظُها كلفظِ « ما » (٤٥ و) فهي توصل بأشياءَ وتُفصَل من اشياء كما قيل ذلك بما . غير أنّها لا تكاد توصَل الّا بالحروف خاصّةً . فمن ذلك ان تقع بين « أنْ » الناصبة للفعل وبين الفعل كقولك : « أريدُ ألّا تفعلَ . وأسألكَ ألّا تعودَ » فهذه توصل بأنْ للادغام الذي يلحقُها في لفظها اذا وَلِيَتْها ولِمَا قدّمنا ولأنّها قد وقعت بين صلةٍ وموصولٍ ولأنّها لا تثبتُ في الخطّ لأنّها قد صارت لاماً وأُدغمت في اللام التي بعدها فهما يُكتَبانِ لاماً واحدةً . فان وقعت بعد « أنْ » المخفّفة من الثقيلة فُصِلَتْ مما قبلها عاملةً كانت او غيرَ عاملةٍ كقولك : « قد علمتُ أنْ لا تفعلُ » « وقد ظننتُ أنْ لا خيرَ عندك » لأنَّ المعنى

• انك لا تفعلْ وأنّهُ لا خيرَ عندك • فالضمير في المعنى متّصل بأنْ حاجزٌ بينهما حتى كأنّهُ لا ادغامَ معها ومنهُ قول الشاعر :

فيا راكبًا إمّا عَرَضْتَ فبلّغَنْ ندامايَ من نجرانَ أنْ لا تلاقيا

يجوز ان تكون مخفّفةً من الثقيلة وان تكون التي بمعنى أي وكلاهما لا توصل . وكذلك هي توصل اذا جاءت بعد • كيْ • لأنّهُ يُضمَر بينها أنْ او تنوب كي عنها في اللفظ فكأنّ لا انّما وُصلت بأنْ وذلك قولك : • جئتكَ كيلا تفعلَ • فأمّا • لئلا ولكيلا • فعلى • ككيْ • وان دخلت عليها لام الخفض . ولا يجوز وصل • لا • بحتّى وان ثابت من أنْ لو كانت تُضمَر معها لطُول حتّى وانّها انّما (٢٦) تدخل على الاسماء في الاصل ولو وُصلت بها لكُتبت بالالف فاجتمع يشبهان . وتوصل لا بانْ الجازمة اذا وقعت بينها وبين الفعل المجزوم لأنّ الجازم والمجزوم بمنزلة المضاف والمضاف اليه لا يُفصَلان وقد وقعت بينهما ولحقها الادغام فصارت مع ما قبلها كالكلمة الواحدة وذلك مثل قول الله جلّ وعزّ (١ : • إلّا تفعلوهُ تكن فتنةٌ في الارض •

وتوصل لا بهلْ لأنّ • هلْ • بمنزلة ألِف الاستفهام وان كان على حرفين وقد لمقها في اللفظ الادغام ولأنّ معنى الاستفهام بهلْ مع • لا • يؤولُ الى التوبيخ فكأنّهما صارا كلمة واحدة تجيء للتوبيخ وذلك قولهم :• هلّا وانتَ شحيحٌ •• وقوم من العرب يصيّرون الهاء همزةً فيقولون • ألا فعلتَ • في هذا الوضع ولا يقولون الّا في هلْ وحدها اذا لم يكن معها لا . وهذا يدلّ على انّهم جعلوها كلمةً واحدة ولكنّهُ لا يثبت في الخطّ الّا لامٌ واحدة كراهيةَ الجمع بين الشبهيْن . ولا يجوز ان توصل لا ببلْ وانْ أدغمتا في اللفظ لأنّهما يجتمعان ولا يزول معناهما ولا يحدثُ فيهما معنى آخر ولأنّ الكلام لا يُستأنف ببلْ وانّما تكون جوابًا او بعد كلام فيقال استعمالها وذلك مثلُ :• بلْ لا يُكرمون اليتيمَ •

واعلم انّهُ لا يجوز ان يوصل بلمْ شيء ممّا وُصل بلا (٢٥) وان أدغما في اللفظ لأنّها لا تدخل الّا على الافعال المضارعة خاصّةً فلا يكثر استعمالها . ولأنّ الميم

---

١) سورة الانفال ٧٣

لا تُشبه الالف اذ لم تكن من حروف اللين التي تلحقها العلة والحذف وغير ذلك . ومع ذلك انّ « لم » وما يلحقها لا يكونان كلمةً واحدة لمعنًى يحدثُ باجتماعها وذلك مثل « ان لم تفعلْ لم افعلْ . وعلمتُ انْ لم يذهبْ » وكذلك سبيل « لنْ » كقول الله جلّ وعزّ (١ : انهُ ظنّ ان لن يحُورَ » و « قد ظننتُ ان يذهبَ » . وعلى هذا قياس ما لم نذكرْ من امر لا

١٠ ما يوصل بحرف التنبيه وهو ها وما يفصَل منه

وممّا يوصل بها التي للتنبيه في المواضع التي تُحذف فيها الفُها في الكتاب فتوصل كما تُحذف من الكلام في قولهم « هَلُمّ » لأنّها اذا حُذفت الفها صارت على حرفٍ واحد . والحرفُ الواحد لا ينفرد فتوصل . وذلك مثل : هذا وهذانِ وهؤلاء وهكذا . وذلك انّ التنبيه لزمَ المبهم وكثُرَ استعمالهُ معهُ حتّى صار كالكلمة فخُفّف في الكتاب كما خُفّف في هَلُمّ في الخطّ واللفظ . فامّا هاؤلائك وهاذاك فلم تُحذف منها الالف في الكتاب . وتفسيرهُ يأتي (27) في موضعهِ ان شاء الله

١١ ما شذّ من الموصول عن نظائرهِ

وممّا شذّ عن نظائرهِ فوُصل وحقّهُ غير ذلك لمجازٍ لعارضٍ عرَضَ فيه « ويْ » اذا وقعت قبل كأنّ الثقيلة كقولهِ (٢ « ويكأنّهُ لا يُفلحُ الكافرون » او قبل كأنْ الخفيفة كقول الشاعر :

وَيكأنْ مَن يكنْ لهُ نَشَبٌ يُحبَبْ م ومَنْ يفتقر يعِشْ عيشَ ضُرّ

وذلك لأنها قد كانت توصل بكاف المخاطبة في قولهم « ويْلكَ » لأنّ الكاف لا تنفرد فأُجريتْ مع كاف الجرّ مجراها مع غيرها . وأبعدُ من « ويكأنّ » وصلُهم « ويْلُمّهِ » يريدون « ويْ لأُمّهِ » لمّا حُذفت الهمزة من الكلام تخفيفاً وصلوه في الكتاب ومثلهُ قول امرئ القيس :

وَيلُمّها من هَواءِ الجوّ طالبةً ولا كهذا الذي في الارض مطلوبُ

١) سورة الانشقاق ١٤ ٢) سورة القصص ٨٢

ومن ذلك وصلهم ما أضيف من اسماء الزمان الى « اذْ » بها كقولهم « يومئذٍ وليلتئذٍ وساعتئذٍ وزمانئذٍ وحينئذٍ » وذلك ان « إذْ » ليست (27) مما يضاف اليه فعل وما قبلها « يجعلان شيئاً واحداً بمنزلة خمسة عشرَ » ويُبنى الاول منها على الفتح فتصير همزةُ « إذْ » التي حقّها التحقيق بمنزلة المتوسطة فتكتب على حركتها ياءً فلمّا كانت تُجعَل في اللفظ بَيْنَ بَيْنَ وفي الخطّ ياءً وصلوها . وقد وصل الكتّاب ما هو ابعدُ من هذا في كتبهم وذلك « ثلثمائة وستّمائة » لما كانا عددا مضافا وكثر استعمالها ولم يكونا ممّن يُعرَف او يُعطَف كخمس وسبع وصلوها . وقطعوا مثل ذلك في حبذا لانها كالكلمة الواحدة وهي نظيرة نعمّا وبئسما فاجروا « ذا » ههنا مجرى « ما » . ثم مما وصل على الشذوذ في مع « ما » تشبيها بما يجب وصله وقد كنا بينا امرهما . فهذا جميع ما يوصل او يُفصَل . وقياس ما لم نذكره هذا القياس ايضا (له صلة)

الحشرات الجرّاحة

نقل اخلاقي في طبيعة الحيوان للاب اسكندر طوران اليسوعي

وقف القارئ على ما خُصّ به الحيوان من الوهم والغريزة العجيبة في اصلاح حاله وتجهيز عشه واصطياده اطعامه وغذاء ذريته وحفظ نسله على مقتضى ما طبعه الخالق في كيانه دون علم سابق في الحيوان يؤدّي به الى غايته بل يجري عليه منذ ولادته ويتصرّف بعمله هذا على موجب اطوار حياته اذ يختلف وهمُ الحشرة وهي دودة عن وهمها في تشوئها وبلوغها وتوليدها كما يختلف ايضاً في جنسَي الحيوان لأنّ غريزة الانثى تخالف غريزة الذكر فان هذا عادةً يعيش متغافلًا لا يكترث لأمور صغاره وربّما اغتذى متطفلا على مأدبتهم او قضى ايامه في امتصاص الزهور وهو لا يبدي عملا كما ترى الزنبور بين النحل العاملات بخلاف الانثى التي تهتمّ باعداد العش لنسلها وتموينه بالطعام المناسب لهم منذ اوّل حياتهم او القيام بخدمتهم مدّة قصورهم

وقد اطرأنا قوّة هذه الغريزة وذكرنا شيئاً من عجيب اعمالها لكننا لم نستوفِ عنها الكلام ولم نكشف غير وجهٍ من خواصها . وها نحن نبيّن لك صورة أُخرى من تلك الخواص لنتأكد مبلغ علم الهوام الفطريّ الذي بكماله ينثني عنها كلّ علم مكتسب ويثبت عمل الخالق فيها

واننا سنفرد هذه النبذة لمعاينة ما تفعلهُ الحشرات لتموين خلايا نسلها بقوتٍ يبقى زمناً طويلاً مخزوناً بلا فساد ريثما تستنفدهُ صغارها

وهنا مشكل كبير فانَّ الحشرة الصيّادة لا يمكنها ان تجعل في وكر صغارها صيداً حيّاً لئلّا يُفسد بيضها او يفترس نسلها عند ولادتهِ . وكذلك لا تستطيع ان تجعل في ذلك الوكر صيداً قتيلاً او ميتاً لأنهُ لن يلبثَ ان ييبس لحمهُ الطريّ وبنتن فلا سبيل الى الاغتذاء بهِ بل يصبح سمّاً لآكلهِ . وليس كلامنا هنا على الحشرات التي تقيت صغارها يوماً بيوم كحشرة البمبكس (Bembex) اذ لا بأس أن تأكل صغارها ما اصطنتهُ فقتلتهُ من الصيد قبل فسادهِ . وانَّما نتكلم عن تلك الحشرات التي تخزن صيدها لمستقبل نسلها حين يفقس البيضة بعد موت الامّ بزمنٍ طويلٍ فيأكل ذلك الطعام المخزون لقوام حياتهِ . فكيف يبقى هذا الطعام دون فساد طول تلك المدة وفيهِ العناكب والجراد والصراصر وضروب الدود وكلّها معرّضة للفساد بزمنٍ قليل ؟

علمٌ نعتبر عملها فنقضي بهِ العجب

ان ارباب الجراحة اذا عمدوا الى اجراء عمليّة شاقّة في عضوٍ من اعضاء جسم الانسان حاولوا تبنيجهُ لئلا يحسَّ المريض بألم العملية وذلك إمّا بتخدير العضو وإمّا بتنويم المريض والقائهِ في سُبات موقّت لا يخلو من بعض الخطر على حياتهِ . وربّما أُصيب البعض بمرض التخدير الذي يعرّض صاحبهُ الى موتٍ عاجل . وعلى كلٍّ لم نسمع حتّى اليوم بجرّاحٍ يستطيع ان يخدّر او ينوّم شخصاً مدّة عدّة اسابيع مع بقائهِ حيّاً صحيحاً

على انَّ ما لم يبلغ اليهِ بعد العلمُ الحاليّ نجدهُ في عدة حشرات التي تفقههُ دون ارتياب وممارسة منذ اوّل وجود جنسها على سطح الارض . وهذه الحشرات تستحضر مادّة مخدّرة تُشلُّ بها اعضاء فرائسها وهي تعرف كيف تحقنُ ما تصيدهُ من الهوام

كلّ صيدٍ على حسب طبيعته وذلك في عين النقطة التي تجتمع فيها الاعصاب المحرّكة للجسم وهي تُحسن مناسبة ذلك الحقن للغاية المقصودة بحيث يفقد المحقون كلّ حركة ظاهرة وكلّ حسٍّ دون ان يصيبه الموت ويبقى على تلك الصورة عدّة ايام بل عدّة اسابيع والحشاؤه قائمة بوظيفتها فتفرز المواد المهضومة بل يستطيع الحيوان المبنّج ان يمتص ما يُقرَّب اليه من المائع على طرف قشّةٍ صغيرة فلا شكّ انه يبقى حيًّا مع فقدان الحركة والحس

فيا للعجب كيف هذه الحشرات المعروفة عند علماء الطبيعة بهذه الاسماء بيلوباي (Pélopée) وسكولي (Scolie) وسَرسيرِس (Cerceris) وسفكس (Sphex) واومان (Eumène) وغيرها يمكنها ان تقوم بمثل هذه الاعمال الجراحية دون ان تتعلمها وهي تعرف ذلك منذ تحوّلها من حالتها الدوديّة الى الطيران وتعلم به دون ان ترى احدًا مارسه قبلها . هذه الحشرات يوم يأذن لها تطاير في الفضاء فتجتمع بذكر من جنسها أبله جاهل واذا هي من العلم في مكان تعرف بصَّكل تدقيق بناء عشها وتحتاط لنسلها بان تعيد له ما يلائمه من الحشرات وتصطادها دون قتلها بتخدير جسمها ثم تخزنها لوقت حاجة صغارهـا اليها . هذا ما نراه كلّ يوم من العجائب في هذه الهوام

دعنا نعاين بعض اختبارات العلّامة الطبيعي فابر التي اثبت بها قدرة تلك الحشرات في فنّ الجراحة :

هذه حشرة السَّرسيرِس الحَـدَبيّة (C. Tuberculata) من فصيلة الهوام الغشائية الاجنحة الشبيهة بالزنبور . وهي تصطاد حشرات غمديّة الاجنحة من نوع سوس القمح . فلنبحث اولًا عن عشّها ثم نراقبها حين تجمع ذخيرتها فنحتال عليها لنطلع على طريقة تخدير فريستها . ها هي ذا قد عادت من الصيد فتحطّ قريبًا من وكرها ثم تسعى بجرّ فريستها المخدَّرة لتودعها في مطاميرها . فلننزع من ايديها تلك الفريسة ونجعل بدلًا منها دويبةً مثلها غير مخدَّرة فترى للحال السرسيرس مضطربة قلقة تجدُّ الارض بمخالبها فتلتفت يمينًا وشمالًا فلا تلبث ان تجد الدويبة التي بدلناها منها فتثب عليها وتقبضها بين قوائمها . لكنّها وجدت تلك الفريسة حيّةً تقوى على المدافعة عن نفسها فهنالك ابتدأت مبارزة مؤثّرة ومأساة مفجعة انتهت بطرفة عين . فالسرسيرس

قامت في وجه فريستها وامسكت خرطومها بكلّبتيها والزمتها الخضيض وهي تبرعص تحتها تبتجو من فتكها لكن السرسيرس قلبتها على ظهرها وضغطت عليها بقدمتيها بحيث تفرج من بطنها ثم اتكأت عليها وقربت بطنها من بطن الدريبة ووخزتها بحمتها المسمومة دفعتين او ثلاث دفعات في اعلى صدرها في مفرق قوائمها العليا والسفلى . فللحال أصيبت الدوبية بشلل تام وبقيت دون حراك كأنها صعقت بجمدت تماما. وفي اثر ذلك قلبتها الغازية على ظهرها وركبت عليها قوائمها كالكلابة ونقلت بها الى فضاء الجو

قال المسيو فابر وكررت هذا الامتحان ثلاث مرات فما كانت السرسيرس تحيد عن عملها ذرة . وقد فحصت الدوبيات المصطادة بعد تخديرها او بعد ان نزعتها من بين مخالبها فكانت اجدها سليمة الاعضاء طرية الجسم صحيحة الامعاء ناصعة الالوان ليس عليها اثر الموت وقد حفظت بعضها في علبة او ورق مدة شهر بتمامه فلم تفسد ولم يؤثر فيها الحر فوجدتها بعد هذه المدة الطويلة سليمة صحيحة يمكن تشريحها كما تشرح الحشرات الحية بحيث ثبت عندي انها حية لا ينقصها سوى الحركة . فأخذني العجب كل مأخذ لدى نظري عملا قامت به حشرة السرسيرس يشبه بل يفوق عمل الاطباء الذين يخدرون الاعضاء بالكلوروفورم والاثير كأن تلك القائمة واقفة على اسرار فن الجراحة فهي تعرف كل المعرفة تركيب الجهاز العصبي في الحيوان

قلنا ان السرسيرس بتخديرها لاعضاء فريستها دون قتلها تشبه بل تتفوق على الاطباء وذلك عين الحق . قل لي بعيشك الله لو قدمت الى الدكاترة الاختصاصيين بعض هذه الحشرات التي تصطادها السرسيرس وطلبت منهم ان يخدروا اعضاءها دون قتلها فماذا ترى يكون جوابهم ؟ لا شك انهم يقولون ان الامر يحتاج الى درس خاص بجهاز تلك الحشرات والوقوف على اعصاب الحركة لجسمها ثم يجب استحضار بعض المركبات الكيموية المخدرة ثم محاولة الحقن بها وهم مع هذا لا يقطعون بنجاحهم في تخديرهم او بثبات ذلك التخدير زمنا طويلا

هذا ما يقوله اساطين الجراحة وشيوخ فن الطب . واين هذا العلم من عمل السرسيرس فانها دون علم سابق ولا اختبارات اعدادية ولا ادنى ارتياب تجري

اعمالًا جراحيّة لا يقوى عليها اكبر الطباء. فتميّز في فرائسها المراكز المحرِّكة التي يجب تخديرها فلا تخطئها البتّة. واذا حقنت فريستها قدّرت كمّية البنج المناسبة لتخدير اعضائها دون سلبها الحياة. فهذا كلّه يدلّ على علم كامل مطبوع في كيان تلك الحشرة حصلت عليه في مولدها كما حصل عليه كلّ افراد جنسها تالثة من نعمة الخالق لحفظ نسلها. فهذا هو الوهم او قل الغريزة التي سبق لنا الكلام عنها وافرزناها عن العقل

وليست هذه الحشرة وحدها حاصلة على هذا العلم العجيب بل اثبتنا ذلك لحشرة السفكس في صيدها للافيبيجار الضخمة (المشرق ص٢١٣). ومن السفكس نوعٌ آخر اصفر الجناحين يصطاد الصرصور والذي هو اكبر منه حجمًا بأضعاف. فاذا صادهُ حطّ به قريبًا من وكره بعد تخديره كما فعل السرسيوس ثم يحمل احد قرنيه بفيه فيسحبهُ الى باب الوكر. ثم يدخل الى الوكر ليعدّ مكانًا للفريسة المتقدمة

قال المسيو فابر: فانتهزتُ فرصة غيبته القصيرة فاخذتُ الصرصور المبنّج وجعلت بدلًا منهُ صرصورًا حيًّا سالمًا ثم انتظرتُ رجوع السفكس فما لبث ان خرج واذ رأى فريستهُ قد ابتعدت قليلًا هجم اليها ليقبضها. فوجّهتُ كلّ بصري الى ما سيحدث لئلّا يفوتني شيء من ذاك المشهد الفاجع. فرأيتُ الصرصور هلعًا يهرب قفزًا الّا انّ السفكس رمقهُ ثم ادركهُ ووثب عليه ثمّ صرعهُ وجندلهُ على ظهره وركبهُ ثم لقط بفيهِ احدى ورَيات بطن الصرصور فقرّب بطنهُ الى بطنهِ ومن ساعتهِ وخز بشَبَتِه السامّة اوّلًا عنق الصرصور ثم مفصل جانبيّ صدره واخيرًا جهة بطنه. فتمّ العمل بلمحة العين واصبح الصرصور كأنّهُ قطعة جماد فبهذه الضربات الثلاث ادرك القاتل ثلاث مراكز من الاعصاب يبعد بعضها عن بعض فلم يخلّ بواحدة منها كابرع الجرّاحين واحذق ارباب الطبيعة. فاين اين علوم الكتب من علمه الغريزي الذي سبقهم اليه منذ الوف من السنين!

والعجب كلّ العجب انّ كلّ حشرة من الحشرات الصيّادة تجري عمليتها على حسب طبيعة فريستها فانّ السرسيوس المحاربة لسوسة القمح ونوع البوبرست لا تجد فيها الا مركزًا واحدًا من الاعصاب فتكتفي بوخز ذلك المركز الوحيد. وخرتيّن لما السفكس فانهُ يجد في الصرصور ثلاثة مراكز عصبية فلا يفوتهُ واحد منها الّا ويضربهُ بسهمه

فلنعتبر فريسةً ثالثة من نوع الدود التي يختلف تركيبها عن تركيب الحشرات الطائرة كالصرصور وسوسة القمح اذ هي تتركّب من عدة حلقات متواصلة متشابهة لكلّ حلقة منها مركز اعصاب فتبلغ تلك المراكز اثني عشر مركزاً. فهل يا تُرى يدري بذلك صيادها وهل يغرز حمته في كلّ مركز منها . وليس كلامنا عن تلك الدودة الصغيرة التي ليس منها خطر على نسل الحشرة الصائدة فانها يكفيها وخزة واحدة لتخديرها ودفع ضررها وانّا نتكلم عن كبار الدود التي منها خطر على صغار الهامة الصيّادة ألا وهي الحشرة المسمّاة بأموفيل (Ammophile)

اخبر المسيو فابر انه صادف يوماً هذه الحشرة تحفر بقوائمها الارض حول نبات فعرف انها تبحث لها عن دودة تصطادها فوقف يراقبها ليشبع نظره بصيدها لذريتها . وفي الواقع بعد هنيهة كشفت عن دودة كبيرة اسرعت الأموفيل فامسكتها من رقبتها بشدة بحيث لم تستطع الدودة ان تتملّص من قبضتها . واذ تمكّنت منها وامتطت ظهرها اخذت تقرّب منها حمتها الواقعة في بطنها فجعلت تغرزها بكل هدوّ ونظام كما يفعل الجرّاح بمبضعه في كلّ خرزة من خرزات جسمها دون ان تغفل عن واحدة منها مباشرةً باعلاها الى اسفلها حتى جمدت كلّ اعضائها ونقلتها الى وكرها

ولعلّ القاري يسأل كيف تستطيع هذه الحشرات الصيّادة وكثيرة ما هي ان تهاجم هوام ذات مخالب شائكة واسلحة طبيعيّة نافذة كالمنتيس (Mantis) المسلحة بجوارح قويّة والعناكب المجهّزة في افواهها بكلاليب سامة تذيق الموت اعداءها وغيرها ايضاً مما لم تبخل عليها الطبيعة بعدد تصونها نفسها من سهام معاديها! هذا هو الحق الّا انّ للحشرات الصيّادة ايضاً وسائل لردّ غارات تلك الهوام فتحمي ذاتها من ضرباتها ثمّ تناجزها القتال حتى تنفث فيها سمّها المخدّر لاعضائها دون قتلها لتبيت بها صغارها مع تقدير الزمان اللازم لبقائها حيّة

فهذه مثلاً حشرة تصطاد النحل تدعى فيلنت (Philanthe apivore) لكنها تقدّم لنسلها ذلك الطعام كلّ يوم بيومه فلا تخدّر صيدها تخديراً قوياً وانّا تكتفي بوشق سمّها تحت حنكها مرّة واحدة . ومثلها البمبكس التي تطعم ذرّيتها طعاماً يومياً بما تصطاد من القمع والذباب . امّا الصيّادة المدعوّة كاليكرغ

(Calicurgue) التي تُطارد العناكب الكبار السامّة فلئلّا تُغير عليها بكلاليبها الجارحة تمج أوّلًا في فمها نقطةً من بَنجها واذا نجت من فتكها تعمد الى بقيّة مراكزها العصبيّة فتخدّرها

ومن هذه الصيّادات النوع المعروف بالسكولي(Scolies)الذي يتصيّد حشرات غمديّة الاجنحة كالجعلان يدعونها سيتوان(Cétoines) فهي تبحث عنها في الارض واذا نفثت فيها سمّها تقيس بين فعله والغاية المقصودة منها وذلك انها تهيّئ لمواليدها طعامًا لا يتغذون به الّا بعد الشتاء فلا بُدّ ان يبقى مريئًا طيّبًا . وقد اخرج المسيو فابر من تحت التراب بعض هذه المواليد المصطادة التي كانت الامّ ألدغتها بيضها قبل تفقّسه فترع ذلك البيض وحفظ السيتوان المخدّر فبقي عنده تسعة اشهر دون ان يَفسد الّا انّه كان معدوم الحركة

فترى كيف انّ وَهم هذه الحشرات وعلمها يختلفان على حسب غاية كلّ واحدة منها وحاجات صغارها . فانّها مع خلوّها من العقل والادراك لا يفوتها شيء من الاعمال الآئلة الى تغذية ذراريها وحفظ جنسها الى ما شاء الله

ولا يسعنا ان نختم هذا الفصل بكلام الطف وابلغ ممّا كتبهُ المسيو فابر في آخر وصفهِ الجميل لهذه الحشرات الصيّادة حيث قال : هذا ما لاحظتهُ بتأنٍ وهدوءٍ كما يقتضيه البحث العلميّ المدقّق . انّ حشرات الصيد الغشائيّة الاجنحة تجري عمليّاتها الجراحيّة بضبط ودقّة يحسدها عليها العلماء وهي تعرف ما يجهله الانسان غالبًا تعرف الجهاز العصبيّ الذي تتركّب منهُ فريستها وتعدّد ضرباتها على عدد ما فيها من مراكز الاعصاب . قد قلتُ «انها تعلم وانها تعرف » وكان الصواب ان اقول «انها تباشر اعمالها كمن يعلم ويعرف» لأنّ تلك الاعمال فطريّة تمارسها تلك الحُييوينات مدفوعة اليها بالوهم . ومن اين لها يا ترى تلك الغريزة أمن الوراثة الجدّيّة ام من الانتخاب الطبيعي او من تنازع البقاء كما يزعم الدروينيّون واصحاب مذهب النشوء والارتقاء ؟ . لا لعمري فانّ اقوالهم لا سنَدَ لها . لما انا فانّ نتيجة دروسي ومراقباتي الطويلة المتعدّدة قد اثبتت لي بلا ريب انّ اعمال تلك المخلوقات الخالية من العقل انّما هي صورة ناطقة بحكمة ذلك الاله الذي يدبّر العالم ويرشد بسُنَن وَحيهِ الحيوانات غير الناطقة الى الغاية التي قصدها منها . واذ كنت اردّد في عقلي هذه الحقيقة التي

كان برقها يخطف ابصاري ترقرقت في عيني دموع تأثيري العميق لتلك الحكمة غير المتناهية رب الكون ومدبر المخلوقات سبحانه وتعالى (١

النوابغ او كبار الرجال

بحث فلسفي اجتماعي لحضرة القس اوغسطين مرمرجي البغدادي

تعريفهم وحقيقة وجودهم

ليس بالعسير على من ألِفَ مزاولة علم التأريخ أن يقف على حقيقة بادية لعينَي كل ذي بصيرة ألا وهي تحققه انه في كل عصر وزمان وبين كل شعب وأمة وفي عهد كل مملكة ودولة قد ظهر فريق من الانام فاقوا عامّة معاصريهم بما أبدوه من الذكاء العجيب والقريحة الوقّادة والارادة المحكمة وذلك من فضل ما اتوه من الآلاء السنية والمِنح البهيّة فبزغوا في سماء عصرهم شموساً ساطعة واقماراً نيّرة مما خلّد اسماءهم في صحف التأريخ ورفع لهم أعلام الفخر والذكر الطيّب على مر الازمان والأدهر. وهؤلاء هم الذين سعوا في توسيع نطاق الاجتماع وبسط الحضارة وتأسيس المدن الفسيحة الارجاء وتأليف الممالك العظيمة وتقريب الابعاد وتيسير المواصلات وترقية الجمعية في معارج النجاح والفلاح والكمال

وفي رأسهم اولئك الذين انصرفوا في حياتهم الى اشرف ما في الانسان اي الى النفس فأقبلوا عليها مبتغين وكان إسعادُها دينهم وتهذيبُها دَيدنهم. ومنهم خدّام الدين الآخذون على عاتقهم امر الارشاد وتحريض الورى على التقوى وعمل الخير ومسالمة العباد. وفيهم الفلاسفة والجهابذة الدائبون في البحث والتنقيب والاستدلال والتدوين غايةُ منيتهم اخراج البشر من دياجير الجهل الى نور العرفان. وبينهم زمرة

١) اطلب كتابه

Fabre : Souvenirs Entomologiques : *1re Série, p. 330 et passim*

الاطباء الساعون في صيانة البدن من الاسقام الطارئة عليه بكشفهم اسباب الادواء وملافاتهم اياها بالعلاجات الشافية . وفي طبقتهم المشترعون العظام اصحاب القوانين والدساتير الشهيرة . وفي عديدهم الحكام والقضاة والفقهاء الباسطون العدل والمحافظون على الحقوق . وفي جملتهم الملوك والسلاطين الكرام والقواد والامراء الشجعان والمحامون عن البلدان والاوطان والساسة المحنكون والمخترعون الحاذقون والمكتشفون الماهرون وكل الذين اشتهروا بالاقبال على الامور العالية المُناط بها خير الجمهور

تلك هي الحقيقة المتجلية لعين المؤرخ الحذق ليتتبع سياق الحوادث الجارية في كل عصر من الاعصر وعندها يقف مبلغ علمه . اما المفكر المدقق المتوخي ادراك الامور بعللها والعالم بان لا مُسبَّب دون سبب فتراه لا يلبث عند منتهى علم التأريخ بل يسعى الى ما ورائه باذلا جهده في سَبْر هذه الحقيقة بقياس الاصول الفلسفية ويغوص في اعماق دركاتها مستنيراً بنبراس القواعد الاجتماعية قصد العثور على ضالته المنشودة باطلاعه على سرّ تفوّق كبار الرجال ونبوغهم وتمكنه من كشف المعنى عن سبب نفوذهم واستيلائهم على اهل زمانهم

آراء الفلاسفة في ماهيتهم ونفوذهم في الالفة البشرية

نبوغ كبار الرجال كما تقدم هو حقيقة تاريخية لا يختلف فيها اثنان . اما تعليلة فلقد كان ولا يزال شغلاً شاغلا للفلاسفة والمفكرين . فطالما تساءلوا فيما اذا كان النابغة هو وحده ومن ذات ما ازدان به من سمو الذكاء ومضاء العزم قادرا على الاستيلاء على اهل زمانه بما يمكنه من قلب الاحوال من طور الى طور والاخذ باعنة الامور وقيادة الالفة الاجتماعية حسب رايه الخاص ومشيئته المطلقة . ففي حلّ هذه المسألة قد تضاربت آراء الفلاسفة شأنها في غالب المسائل . فهناك فريق اثبت اطلاقاً وثمَّ فريق انكر بتاتاً

فالموجبون هم اولئك الذين يذهبون الى ان النوابغ هم هم ولا غيرهم العلة الوحيدة لكل ما قد حازه الجنس البشري من الكمالات على اختلاف اصنافها وان تاريخ البشرية عامّة وخاصّة قديمة وحديثة إنْ هو بالحقيقة الّا تاريخ كبار الرجال

لانهم كانوا وهم اليوم ارباب العالم وقادة الورى واساتذة البشر لا بل زد على ذلك وقل ان كل ما بذله القوم من النفس والنفيس والغالي والرخيص في سبيل ما قد حصلوا عليه من الحسنات فالنوابغ وحدهم كانوا مبتكريه وجالبيه ومانحيه . وقصارى الكلام ان كل ما قد يبدو لاعيننا في العالم من نافع وشهي ولذيذ ما هو سوى نتاج قرائح كبار القوم ونوابغهم وتحقيق ما دار في خلدهم من الافكار المثلى والنيات الفضلى

اما المنكرون فهم المبالغون في الحط من قدر ارباب القرائح القائلون بان لا حظ للرجل الكبير بذات نفسه من كل ما يعزى اليه من الكمال وحسن مزايا وخصال وانه ليس في شيء . مما قد تسمو به الامة من تقدم وتمدن وعمران وانما الفضل كله للمجتمع الذي يؤثر فيه تأثيره البالغ . على ان النابغة يولد وينشأ ويتدرج بين ظهراني مجتمع من المجتمعات محصور ومحدود فيه للوراثة والتربية والعوائد والاخلاق العوامل الكبرى مما لا بد ان يفعل في تكوّن قريحة ذلك الرجل ونموّها وتدرجها . فتراه قبل ان يتمكن من العمل والتصرف في مجتمعه قد سبق المجتمع فيه فطبع فيه اثراً بليغاً . فاضحى معلول التطور قبل ان يكون علته . وان هو سعى في العمل بين قومه فلا ذريعة له لاجراء ذلك سوى عمده الى الوسائل التي تضعها بين يديه الأمة عينها . وعليه فلا يكاد أثر النوابغ يكون شيئاً يذكر وان كان هناك شيء ذو شان فهو محصور في قدرتهم لفضل ما فيهم من الذكاء على سبق غيرهم في الوقوف على ميل الافكار وتطوّر الاحوال ونزعات الاقوام مما يمكنهم من اعلان اسباب مجاري الامور ويساعدهم على اتباعها . ففضلهم الوحيد ان كان ثمّ فضل لا يزيد على فضل الروابي التي لارتفاعها تتلقى انوار الشمس البازغة قبل ان تستنير بها الوديان

الحكم الصواب في ذات عمل النوابغ وقدر نفوذهم في الامة

غير خاف على اللبيب ما في هذين الرأيين من التطرف الفاحش وكيف انهما على طرفي نقيض لدى الحقيقة التي من شأنها الاعتدال فقائمة في وسطهما لا تحيد عنه

قدر ذرة وها نحن نتبع الكلام رغبة الوقوف عليها فنبحث اولاً عن طريقة اعمال التوابغ بذاتهم ثم من كيفية تأثير تلك الاعمال في المجتمع الانساني

ان اعمال التوابغ اعمال بشرية صرفاً وطريقة مزاولتها لا تتعدى الطرائق البشرية بدليل المبدأ القائل : تجري الصنائع مجرى الطبائع . على ان ارباب القرائح مهما فاقوا في المزايا وتفردوا في الكمال فلا يخرجون عن حيز البشرية والا لتغير كيانهم . فلا يزالون الا بشراً في طبعهم ومن ثم في مزاولة اعمالهم

وكل يعلم ان في مقدمة اعمال الانسان اعماله العقلية اذ الانسان انسان بنفسه العاقلة حسب قول الشاعر :

لولا العقول لكان ادنى ضيغم ادنى الى شرف من الانسان

وتعرف النفس بافعالها والافعال النفسانية على ثلاثة اضرب وهي : الشعور والتعقل والارادة . ولا بد لكل من هذه الافعال قوة تصدر منها

مقرر ان النفس جوهر تام مستقل بذاته روحاني مجرد من المادة والتركيب ومبدأ عاقل فعال عامل بالذات حر بذاته متصرف في اعماله الادبية . بيد ان هذه النفس متحدة بالجسم اتحاداً جوهرياً تاماً يجعلها مفتقرة اليه في ابراز بعض افعالها اعني في ادراكها الجزئيات

(فالشعور) لا يتم الا بواسطة الحواس التي بها يحصل فعلها الاول . والحواس على ضربين : حواس خارجية وعددها خمس : السمع والبصر والشم والذوق واللمس وحواس باطنة وهي خمس ايضاً : الحس المشترك والخيال والقوة الوهمية والمتخيلة والحافظة

وادراك النفس للمحسوسات يكمل بالحواس الباطنة اما الحواس الخارجة فهي آلة للباطنة . والشعور يفترض ثلاثة امور وهي الاول : وجود سبب مؤثر في الخارج وهو الجسم الذي يقع على احد الحواس الظاهرة فيطبع فيها صورته . الثاني : وجود آلة او حاسة خارجة في الجسم تنقل ذلك التأثير او تلك الصورة الى الداخل على طريق الاعصاب المختصة بكل واحدة منها . الثالث : وجود قوة باطنة تدرك ذلك التأثير او تلك الصورة اي تشعر بها . ومن ثم فلا يتم فعل الشعور الا بانتقال صورة

المحسوس مفرداً معيناً بصفاته . وهذه الصورة لا تحوي شيئاً من الجسم البتة . وقد سُميت حسية لان النفس لا تستخدم في ادراكها سوى الحواس

اما (التعقّل) وهو فعل النفس الثاني فيه تنتقل النفس من المحسوسات الجزئية الى المعقولات الكلية فتعرف الشيء لا بصورته الفردية الجزئية الظاهرة كما هو الشأن في الشعور بل بماهيته وخواصه الذاتية التي يقوم بها . ويحدث ذلك بعد ان تكون الصورة الحسية قد عبرت على طريق الاعصاب من الخارج الى الدماغ مركز الحس المشترك . وهناك تطالعها النفس وبقوتها الوهمية تدرك معانيها الجزئية وبمخيلتها تتصرف بها بالتركيب والتحليل وتقيس بعضها على بعض قياساً حسياً لا دخل فيه بعد للعقل لما هو معلوم من ان موضوعه الكليات . على انه مقرر ان المعرفة لا تتجزأ الا بوجود الـ... في نفس العارف . فما الحيلة والنفس روحانية غرضها الكليات والمثل الخيالية جسمانية هيولية جزئية ? الحيلة هينة على النفس لما فيها من تلك القوة المفكرة التي تتصرف بالمثل المفردة الحسية فتجعلها مطلقة كلية بحيث يصير المحسوس الجزئي معقولاً كلياً . وهذه القوة المتصرفة يقال لها العقل الفاعل او القوة المجردة ويسمى فعلها تجريداً . وهي تختلف غاية الاختلاف عن القوة الشاعرة كما ان فعلها فعل التجريد يتميز غاية التميز عن الإدراك الحسي كتميز الصور الفكرية عن الصور الحسية

اما موضوع معرفة العقل البشري بنوع عام فهو الوجود المطلق وموضوعها الخاص طالما النفس تبقى متحدة بالجسد هو الذوات غير المادية الكائنة في الموجودات المحسوسة المادية . وهذه الكائنات لا تخلو وهي في حال التركيب من ان تكون اما جواهر او اعراضاً . ولا بد من ان تكون متصفة بكم وكيف وزمان ومكان وفعل وانفعال ونسبة اضافية وهي كلها صفات عامة لها دخل في تكوين الكائنات يدركها الانسان لاول وهلة بالبديهة كما انه بهذه القوة عينها يدرك الضروريات وفي جملتها الاوليات والمشاهدات والحسيات والوجدانيات والفطريات والتجريبيات . وهذه المبادئ الكلية مع الوجود المطلق الراجعة اليه هي ركن معارف الانسان الاولية وعليها مدار عقله وهي العامل الاول في كل افعاله . وعند وقوفه عليها لا مندوحة له للعدول والإعراض عنها شاء ام ابى وذلك لما بينها وبين العقل من المطابقة التامة

بيد اننا نجد من ذاتنا ان العقل لا يقف عند هذا الحد من الكمال بل ان فيه خاصةً غير تلك وهي انه لا يكتفي بادراك صور المعقولات او الافكار ادراكاً بسيطاً فقط . بل يبلغ منه ان يتصرف بها مقابلاً بعضها ببعض ومثبتاً بقوة حكمه تارةً تناسبها وطوراً تنافرها . ثم ينتقل بالاستدلال من البديهيات الجلية الى النظريات الخفية . وبالقياس من نظريات معروفة الى نظريات مجهولة . وبهذه الطريقة يتوصل الى كشف الحجاب عن مخدرات الحقائق النظرية وتوسيع نطاق المعارف والعلوم الاكتسابية

(الارادة) ومن الامور التي لا يشوبها ريب ان لكل موجود غايةً يتجه اليها وهي مقصد قواه وافعاله فللانسان اذاً وهو من اشرف الموجودات غايةٌ يتوخى بلوغها ولا يتجه اليها بمحرك خارجي يدفعهُ الى عمله بل بقوة داخلية تحركهُ الى افعاله يقال لها الارادة . على اننا قد اسلفنا القول ان الانسان يدرك الكليات بعقله والجزئيات بحواسه . ولذا لزم ان يكون فيه ارادة عقلية تدفعه الى السعي وراء الخير الكلي وارادة حسية تحملهُ على استحصال الخير الجزئي . ومن هنا ينجم ان الانسان يحب ما يراه خيراً ملائماً له ويكره ما يجده شراً مضراً به . بيد ان هذا الحب وهذا الكره ينشآن فيه عن اختيار ورضى وحريّة مطلقة فيجد من نفسه انه ربُّ افكاره واشواقه وافعاله .

وفعل الارادة هذا يفترض أمرين: اولهما ان يدرك العقل الخير اولاً . ثانيهما ان تقصده الارادة وترغب فيه اذ لا يراد الشيء الا بعد عرفانه . وبذلك تستدلّ على ان الارادة قوة عمياء لا تدرك شيئاً من ذاتها ما لم تر العقل مدركه فهو دليلها الى الخير الذي تسعى وراءه فاذا ظهر لها الخير الكامل اندفعت اليه كل الاندفاع لوجودها فيه ما يملأ كل اشواقها ويشفي ويبرد غليل هيامها فلا يبقى لها رغبة البتة في خير آخر بعد حصولها عليه . واذا ظهر لها الخير الجزئي فلا تميل اليه ميلها الى ذلك الاول لخلوه من ملء ما تشتهيه . وان وجدت فيه بعض الارتياح فلا تقصد بذلك اتخاذها اياه غايتها القصوى بل تجعله سبيلاً لخير غيره وذريعةً لنيل ما فوقه وتبقى حرة في شأنه مخيرة الانعطاف نحو غيره ولذا ترى الانسان لا يتمالك نفسه من السعي وراء السعادة التي هي الخير الاعظم المطلق لا تردّد له في قبولها ولا اختيار له في

العدول منها . واما اذا وجد خيراً جزئياً او حسنة من الحسنات تردَّد في قبولها لا بل رفضها اذا رأى ان غيرها افضلُ منها

وجملة القول ان الارادة تميل ميلاً كلياً دون تردد كلما رأت الخير الاعظم او السعادة . واما الخيرات الجزئية فيلها اليها يزداد بازدياد معرفة العقل لتلك الخيرات واشتداد الملاءمة بينها هي الارادة وبين الخيرات المذكورة

مزية النوابغ في اعمالهم البشرية

هذا هو منهاج العمل عند البشر عموماً وعند اهل الذكاء خصوصاً مع ما بين الفريقين من عظيم التفاوت في درجاته . على ان تلك القوى وتلك الاعمال حسية كانت او عقلية او ارادية قد تبلغ في النوابغ مبلغاً من الكمال تتقصر كل القصور عن التوصل اليه في من سواهم . فمن حيث الشعور ترى الداهية مزداناً بكل ما يقتضي له من حاسات ظاهرة او باطنة ولا سيما ما يتعلق بالسمع والبصر خارجاً وبالحافظة والمخيلة داخلاً مما يفترض فيه بدناً حائزاً كل الصفات المقوّمة لكيانه من بنية قوية واعضاء متناسقة وعضلات متينة ودم غزير زاخر يتدفّق من قلبٍ مفعمٍ الحياة واعصاب شديدة متنبهة ودماغ واسع مما يجعل هذا الجسم لائقاً لخدمة القوى العليا وقادراً على الثبات تحت وقر اعمال النفس العقلية . اما نفس النابغة فحدث عن سموها ورقيها ولا حرجَ فانها كاملة الخواصّ مزدانة بقوى عجيبة من عقلية شأنها التجريد والاستدلال والقياس . وارادية يقوم فعلها في توخي الغاية والبحث عن دواعي العمل والذرائع المقتضي اتخاذها للفوز بالمطلوب . وهذا مما يفيدك عن الملاءمة التامة الواجب وجودها بين نفس النابغة وجسمه . اذ ما الفائدة من وجود آلة بديعة القوام وهي الجسم الكامل الصفات بين يدي فاعل عاجز جاهل اعني به النفس الجامدة الخاملة ؟ واي خير يُرجى من وجود فاعل حاذق ماهر وهو النفس الراقية في يده آلة ساقطة عمية اعني الجسم النحيف الهزيل العليل . ولذا لله درُّ فيلسوف النصرانية القديس توما الاكويني من قال : « من شأن الابدان البديعة الكيان ان تضمّ اليها نفوس سامية الذكاء والعرفان »

وسمو هذه القوة العقلية في نفس النابغة انما يتوقف على ان صاحبها يدرك

الامور بحثا. فكر آخر في بابه ويتم ذلك العمل بجملة يقضى لها العجبُ العجاب . فانه يرى حالاً وبلحظة عين ما في المقدمات القياسية من النتائج الجمة التي لا تستخرجها العامة الأ بعد العناء الجسيم والزمن الطويل . وكاني بفعل تعقّله هذا لا يُعدّ بعد من قبيل التجريد والاستدلال والقياس بل ضربا من النظر المحض. او البديهة وكاني بجميع الحقائق النظرية البعيدة الغور العسرة الاستقصاء ايست الا بمثابة مبادىء أولية يحيط بها عقل النابغة علما وذلك بمجرد القاء النظر عليها

والسرّ في هذا النمط العجيب من الادراك قائم في هذا الامر وهو ان الانسان من ذات طبعه قد وُجد في سلم الكائنات وسطاً بين البهائم العجماء والارواح المنفصلة المحضة . بيد ان الناس وان كانوا مشتركين في النوع فلا تستوي فيهم المدارك . فادنى مراتب البشر متصلٌ بالبهائم وهم اوطأ درجة في تجريد الافكار عن الحواس الحسية . والذين اوسطهم مرتبة فالمجرّدة فيهم القوى والعقل بيد انها شديدة البطء في العمل . واما ذوو الذكاء الوافر وهم اهل المرتبة العليا فالمجردة تسمو فيهم سموا عجيباً وتنفذ نفوذاً بليغاً مما لا تحسب بعد معه في شيء من القوة المتعقلة بل ضرباً من البديهة . فترفع بذلك اصحابها من طبقات البشر وتقربهم الى طبقات الارواح الملائكية

وشأن ارادة النابغة شان عقله فانها تسمو سموه وتنفذ نفوذه وذلك لما قد ترفت به من السير على خطواته والاستنارة بمصباح نوره البديهي مما يجعلها قادرة على ان تقف بسرعة غريبة على الغاية المقصودة والطرق المؤدية اليها فتجنح اليها كل الجنوح دون تردد بل بعزم وحزم مكين. وكما ان الروح البسيط يعزم بحرية واختيار ودون توقف ولا مراجعة فالنابغة الجدير بان يقال . قوة الارواح ينوي عازماً ويقدم عاجلا

وصفوة القول ان النابغة يأتي اعماله بطريقة بشرية اعني بالشعور في امر قوة حسه وبالتجريد والاستدلال والقياس في شأن عقله وبالمراجعة والمفاوضة فيما يرتبط بارادته . اما الذي يفرقه عن غيره فهو هذه المزية وهي انّ في وُسعه ان يقبض من ساعته وبحكمة عجيبة على ناصية الحدّ الاوسط من القياس مما تخطر النتائج معه الى الانقياد اليه خاضعة صاغرة . وفي قدرته ايضاً ان يكتشف القناع من الوسائل

الغاية فيعمد اليها بعزم وإقدام . وهذا هو السرّ في نبوغه بين امثاله وهذا الذي يفرده عنهم ويخصه ببعد النظر وغريب البداهة ومضاء العزيمة مما يجعله جديرا بان يلقب بكل صواب بالحساس الانبل والعاقل الأكمل والجازم الأمثل

أثر النوابغ في احوال زمانهم

قد عرفنا من هم النوابغ وما هي مزيّة اعاظم بحدّ ذاتهم . فما القول بعد الذي رأيناه في قدر فعلهم وتأثيرهم في تطوُّرات مجتمعهم؟ للجواب عن ذلك جواباً شافياً لا بدّ لنا من تمهيد

معلوم ان الزمان في تطوير دائم يتقلّب من حال الى حال فلا يُعرَض له قرار مع المحافظة على كيانه الجوهري الاساسي . وتبيانه انه اذ كانت الامة البشرية مؤلفة من افراد كثيرة كان شان المجتمع شأن الفرد في باب المعرفة والعلم . على اننا قد تقدّم لنا إفاضة الكلام في ان عقل الفرد اذا وقف بازاء موضوع معرفته وهو الحق لا يخلو من ان يكون على حالين : اولهما حال اضطرار وثانيهما حال اختيار . فحاله حال اضطرار عند ادراك الوجود المطلق وما يرجع اليه من المبادىء الضرورية . وحالة حال اختيار عند استدلاله عن الموضوعات النظرية . هذا ما يجري عند الفرد وهو عينه جارٍ في المجتمع لكونه مجموع افراد البشر . وعليه ترى اولئك الافراد على الاطلاق جامعي الراي اضطراراً على التسليم بالامور الاولية في كل صنف من اصناف علومهم ومعارفهم نظريّةً كانت او عمليّةً فلسفية او طبيعيّة اجتماعيّة او سياسيّة . واما الامور النظرية التي تحصل بالقياس بعد العناء وشحذ القريحة فتتضارب فيها اقوالهم وتتلاكم آراؤهم . والسبب في ذلك ان العقل سواء اعتبر في الفرد ام في الجمعية لا يدرك من تلك الحقائق الأوجها من الاوجه مما يبقى معه حرًا في الاتحاد او الانفصال عن اي وجه من اوجهها . وهذا هو السرّ في تولّد الاراء التي تسمّى مذاهب اذا ثُبتت وبقيت نظريّة ويُطلق عليها اسم طرائق اذا وُضعت في العمل . زد على ذلك ان الطرائق اذا تمكنت في الامة وتنازعت وغالبت بعضها بعضاً نشأ التطوّر . واذا نضج التطور كانت عاقبته الانقلاب على اختلاف انواعه سواء كان ذلك في عالم العلم او الاجتماع او السياسة

فاذا عرفت هذا زدناك علماً انَّ للنابغة أثرًا جليلًا في كل انقلاب يحدث في العالم . وهذا يطلب شرطين وهما ان يكون للداهية ارادة صادقة لإجراء ذلك الأثر وان يجد من ذاته مقدرة على اتيانه

اما قصد النابغة التأثير في احوال عصره فانهُ ينشأ في صدر النابغة لوقوفه على عيوب مجتمعه وما اعواه بذلك من غيره لما قد تحققنا فيه من سمو الطريقة في استطلاع سرائر الامور . وما اجدره ان يرى دونه جليةً ما قد اعترى جيله من الشوائب والمعائب والآفات مما يحصل له معه صورة واضحة عن الحال العاكسة المرغوب فيها لمجتمعه

زد على ذلك انهُ اذا كانت الارادة كما سبق الاثبات ميالة الى الخير الذي يقدمه لها العقل فعند ما يدرك النابغة بتوقد ذهنه حالة زمانه السيئة او الناقصة ويقف بديهاً على ما يقتضي حمله لإصلاح حال قومه وترقيتهم ونقلهم من طور مضر الى طور يتوسم فيه الخير لهم ترى ارادة هذا الرجل ذي النفس السامية والهمة العالية تندفع ايّ اندفاع الى تلك الغاية المتوخاة مائلة اليها ميلًا هذه شدتهُ حتى انها لا يقرّ لها قرار ما لم تفز بذلك الخير المشتهى . فالنابغة اذًا هو مَن سعى غاية السعي وبعزم واقدام لا بل بشوق وهيام الى ازالة ما يجدهُ في جيله من عيوب ونقصان وجلب ما يعرفه جزيل الفائدة وكبير العائدة للجمهور

بيد انا لنحيد عن محجة الصواب ان اتبعنا اصحاب الراي الاول فعزونا قوة ادراك تلك الامور وقصد اجرائها الى النوابغ وحدهم دون غيرهم لان الامر الخاص بهم بمعزل عن سواهم هو تفوقهم الذهني في الوقوف على تلك الشؤون واقدامهم العجيب على اتمامها وهذا ما يصدق فيه ارباب الرأي الاول . اما الموضوع الذي يفعل فيه عقلهم وتؤثر فيه ارادتهم فبيئته لهم المنشأ الذي ولدوا فيه والاثاثة التي عاشوا في وسطها والتربية التي تهذبوا طبقاً لاحوالها والمعارف التي تلقنوها . وفي هذا المعنى قد اصاب اصحاب القول الثاني

اما ما يتعلق بشأن مقدرة النابغة على اجراء ذلك الانقلاب فاعلم ان ليس لارباب القرائح في ذلك الامر قدرةٌ شاملة ولا سلطة مطلقة . اجل انا لا نجحد ان لهم في مثل تلك الاحوال من التأثير ابلغه ومن النفوذ اعظمه مما يؤهلهم الى دفع الجمهور الى ما فيه الخير وذلك بفضل ما أوتوه من مضاء الفكر وقوة استطلاع كنه الامور

وشدَّة النزعة ودراية التوسُّل بالذرائع الملائمة فيصبحون بذلك الركن الاساسي للعمل والمحرِّك الاول لانشاء المشاريع الكبيرة وتدبير الشؤون المهمَّة · بيد انهم ليسوا في شيء من ذات ما عندهم في استنباط وابتكار ما يحملون قومهم عليه ويسيرون بهم اليه لكون موضوعه قد اتاهم من فضل الكمالات المكتسبة قبلا والكامنة في المجتمع وفي احوال الجمهور العقلية والادبية والاجتماعية والسياسية

خلاصة المقال

النتيجة الشاملة الجدير استخراجها من هذا المقال كلّه هي ان النوابغ فئة من البشر قد أُنعم عليهم من العلاء بمواهب طبيعيَّة اضافوا اليها مزايا اكتسابية جعلتهم يفوقون اهل عصرهم في مزاولة اعمالهم فازدانوا من البدن بأقواه واكمله ومن النفس بأبهاها وأسماها ومن الشعور بأدقّه وارقّه ومن العقل بامضاه وانقبه ومن الارادة باحكمها واحزمها فكانوا ولا يزالون في كل عصر آيةً الله في خلقه وذلك باحاطتهم بأغوص الامور وابعدها غوراً مما عجزت العامَّة عن نيله وتمكّنوا من نقل الالفة من حال سيّئ الى حال صالح ومن حال حسن الى احسن لجاراهم في ذا السبيل قومهم وانقادوا اليهم عن رضى وارتياح لما توسَّموا فيهم من الكفاءة لتحقيق ما كانوا هم بذاتهم يدركونه ادراكاً ناقصاً ومبهماً ويسعون في اقتنائه بارادة واهنة

وعليه يكون النوابغ ائمَّة في الأمَّة وقادة في الالفة لا متحكّمين فيها متصرفين بشؤونها تصرُّف المتسيطر · فان القدرة ومطلق السلطان لله وحده ربّ الكائنات يتصرف بها كما شاءت أحكامه الازلية وكلّ البرايا جمادها مع نباتها حيوانها مع بشرها وملائكتها خاضعة لسلطانه طائعة لأمره الذي لا مردّ له يعين حدودًا اعمالها دون فرق بين اضطراريها واختياريها طبقاً لمنايته الصمدانية · له الملك والقوة والجبروت وله الحمد والشكران الان وفي كل آن

النصرانيّة وآدابها بين عرب الجاهليّة

للأب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

الفصل السابع

في الخطابة النصرانيّة بين عرب الجاهليّة

بعد كلامنا عن المأثورات النصرانيّة في لغة عرب الجاهليّة واعلامها وامثالها وحكمها يقتضي ان نبيّن نفوذ هذا الدين بينهم بما هو ادلّ على آدابهم . وليس اكثر دلالةً على ذلك من فنّ الخطابة

قد افتخر العرب في كلّ اجيالهم بمقدرتهم على البلاغة والتبسُّط في الكلام وقوَّة العارضة حتّى انهم لجهلهم آداب ما سواهم من الشعوب كاليونان والرومان نسبوا الى قومهم الامتياز بفنّ الخطابة دون سواهم . ومهما كان من الصحّة في هذا الادعاء لا مراء في انهم عُرفوا في كلّ آن بذلاقة اللسان وطلاقة الكلام

فيا تُرى ماذا كان مبلغ نصارى العرب في هذا الفنّ وهل بقي شيءٌ من آثارهم المنبئ ببلاغتهم الخطابيّة بين اهل جلدتهم

فقبل الجواب على هذا السؤال لا بُدَّ من تقديم ملحوظتين: الاوّل انَّ ما بلغنا من خطَب عرب الجاهليّة لم يُجمع الّا بعد الهجرة بمدّة مديدة فدوَّنه الرواة في القرن الثاني للاسلام . فمن البديهي انَّ كثيرًا من تلك الآثار الخطابيّة قد ضاع بطول الزمان وآفة النسيان او لم يبلغنا منه الّا نُتف قليلة لا تكفي لأن نبني عليها الحكم الصواب في مقدرة نصارى العرب على القاء الخطب

الملحوظ الآخر انَّ الرواة الذين رووا تلك المقاطيع كانوا من اهل الاسلام لا

يهمّهم كثيراً الاشارة الى دين خطباء العرب في الجاهليّة وكلُّهم في مظنّتهم من اهل الشرك لا يختلف في عرفهم النصرانيّ من اليهوديّ او الوثني

فلم يبقَ لكشف القناع عن الحقيقة الّا ان نجري على الاستقراء والدلائل التي سبق لنا جمعُها في الفصول السابقة للتمييز بين النصارى والشركين واثبات ما يمكن استخلاصهُ لبيان علمهم بالخطابة فنقول :

معلوم انّ الخطابة على اختلاف اغراضها من تثبيت ومشورة ومشاجرة على قسمين كبيرين دينيّة ومدنيّة . وفي كليهما آثار باقية تدلُّ على امتياز النصارى فيهما على عهد الجاهليّة وأوّل ظهور الاسلام

١ الخطابة الدينيّة بين نصارى عرب الجاهليّة

بيّنا في فصول مطوّلة سبقت لنا في القسم الاوّل من هذا الكتاب كم كانت النصرانيّة منتشرةً في انحاء العرب فتتبّعنا كلّ جهات جزيرتهم واثبتنا استناداً الى المؤرخين القدماء من يونان ورومان وسريان معاصرين ثم عرب كتبوا بعد الاسلام بقليل . هذا فضلاً عن الآثار الحجريّة في الحميريّة والآثار الفنيّة المختلفة . فان كان الامر كذلك يلزم القول بانّ الخطابة الدينيّة كانت شائعةً بين تبعتها لأنّ الديانة النصرانيّة تنتشر عادةً بالتعليم الشفاهي اذ قال السيّد المسيح لرسله (متّى ٢٨ : ١٩ — ٢٠) : « اذهبوا وتلمذوا كلّ الامم . . . وعلّموهم ان يحفظوا جميع ما اوصيتكم به » فلا يجوز لسنّتنا . المبشرين بالنصرانيّة بين العرب من هذه المعرفة . ولا سيّما أنهم كانوا شيّدوا بينهم كنائس عديدة واقاموا لهم اساقفة وكهنة وشمامسة كما قرّرنا ذلك بالشواهد . وهؤلاء كلّهم في مقدّمة واجباتهم الارشاد والخطابة في عقائد الدين ليرسخوها في عقول رعاياهم ويبثّوها الخوارج والطالبين التديّن بالنصرانيّة . فليت شعري ماذا بقي من تلك الآثار الطيّبة والخطب او الميامر . ولا ننكر انّ اللغة الكنسيّة كانت في بعض جهات العرب الكلدانيّة او اليونانيّة الّا انّه كان للغة العربيّة حصّتها ايضاً في النواحي التي كان اهلها من اصل عربي محض كاليمن والحجاز وبين عرب المدر الساكنين في الخيم حيث كان يسكن بينهم اساقفة يتنقّلون معهم في مناجعهم كما صرّحت الآثار الكنسيّة والمجامع الدينيّة بذلك ودوّنا اقوالهم

وممّا عرّض الى الفقدان تلك البقايا الجليلة انّ الخطّ العربيّ الذي علّمهُ النصارى لاخوانهم العربَ كما أيدنا ذلك بالشواهد لم يكن بعد انتشر انتشاراً كافياً ليحفظ ذلك القلم الحديث كنوزهم الادبية . ولما جاء الاسلام اتجهت الافكار الى الدين الجديد وجعلوا القرآن الكلّ في الكلّ اتوز ذويه بقبائل العرب

هذا مُجمَل ما يقال من الخطابة الدينيّة النصرانية ولكنّنا لم نيأس من التقاط بعض الحبوب من تلك السنابل المحصودة وبعض الفتات من تلك الموائد الفاخرة . فمن ذلك خطيبٌ دينيّ شاع اسمهُ في بطون بلاد العرب وانجادها اجمع كلّ اهل البادية من حضر ومدر على انهُ كان آيةً في البلاغة الخطابيّة نريد به قسّ بن ساعدة الذي يدلّ مجرَّد اسمهِ على نصرانيّتهِ وضُرب به المَثل في اساليب البيان . ولو لم يكن في جزيرة العرب غير قسّ اشتهر في البلاغة والخطابة لكفى النصارى به فخراً . امّا ما يؤثر عنهُ تأييداً لهذه السمعة العظيمة فأسطر قليلة رويناها في كتابنا شعراء النصرانيّة (ص ٢١٢ — ٢١٣) وهناك اخبار رويناها على علّاتها تثبت رفعة مقامهِ بين العرب لكنها لا تشفي غليلًا ولا تروي غليلًا . وكذلك اخبارهُ المرويّة عن كتبة العرب فانّها اقربُ الى الساطير الاولين وخرافات الاقدمين فيقول الرواة هنالك انهُ ادرك زمن بقايا الحواريّين ورأسهم سمعان الصفا وانهُ عاش ستّمائة بل سبعمائة سنة (ص ٢١٦) وانهُ بشّر بمجيء نبيّ المسلمين وانّ محمّداً رآهُ في سوق عكاظ يخطب على جمل لهُ اورق (راجع الشريشي ٢ : ٢٧٥) واشياء أخرى اقرب الى الخرافات منها الى صحيح الروايات . ولعلّهم اصابوا بقولهم انهُ « كان اسقفاً على نجران وانهُ كان زاهداً بالدنيا يلبس المسوح ويتبع السيّاح على منهاج المسيح » وكذلك قولهم انهُ « كان يتّكئ على عصا في خطبهِ » فان اساقفة النصارى يمسكون في ايديهم عكّازاً وهم يخطبون (لا سيفاً كما روى البعض) . وخلاصة الكلام انّ قسّاً كان خطيباً مفقعاً اثّر كلامهُ البليغ في قلوب العرب حتى نسبوا اليهِ من الاقوال والاعمال ما يردّه النقد الصحيح ولا يقبلهُ الذوق السليم . وها نحن نروي ثلث خطب من خطبهِ فاتنا ذكرُها في شعراء النصرانيّة لا تصديقاً لصحّتها بل اعلاناً بما تناقلهُ العرب عن قسّ غثّاً او سميناً وهذه الخطب وجدناها في التذكرة الحمدونيّة (نسخة باريس الخطيّة ص ٨٤)

أيها الناس الحِلْم شرف والصبر ظفر والجود سرور والمعرفة كنز والجهل سفه والعجز ذلّة والحرب خُدعة والظفر دُوَل والايام غِيَر والمرء منسوب الى فعله مأخوذ بعمله فاصطنعوا المعروف تكسبوا الحمد واستشعروا الجد تفوزوا به ودعوا الفضول يجانبكم السفهاء وأكرموا الجلوس يعمر ناديكم وحاموا عن الحقيقة يُرغَب في جواركم وأنصفوا من أنفسكم يوثق بكم وعليكم بمحاسن الاخلاق فانها رفعة وإيّاكم والاخلاق الدنيّة فانها تضع الشرف وتهدم المجد

(خطبة) ايها الناس شاركوا بإبصاركم في كرّ الجديدين ثم أرجعوها كليلةً عن بلوغ الامل فان الماضي عظة الباقي ولا تجعلوا الغرور سبيل العجز فتندموا حيث لا ينفعكم الندم في موقف الله سائلكم فيه ومحاسبكم على ما أسلفتم . ايها الناس امس شاهد فاحذروه واليوم مؤدب فاعرفوه وغداً رسول فأكرموه وكونوا على حذر من هجوم القدر فان اعمالكم تطلق ابدانكم والصراط ميدان يكثر فيه العثار فالسالم ناجٍ والعاثر في النار

(خطبة) اتقوا عباد الله وانتم في مَهَل بادروا الأجل ولا يغرّنّكم الامل فكأن بالموت وقد نزل فشغلت المرء شواغلُهُ وتركت عنهُ بواطلُهُ وهيّأت أكفانهُ وبكاهُ جيرانهُ وصار الى المنزل الخالي بجسده البالي قد فارق الرفاهية وعاين (كذا) الداهية فوجههُ في التراب عفير وهو الى ما قدّم فقير

هذه كما ترى حِكَم أكثر منها خطب . والعجب انَّ الكتبة السريان المعاصرين الذين استقدنا من تواريخهم عدَّة اخبار عن العرب لم يأتوا بذكر قسّ بن ساعدة على أنهم ذكروا خطيباً آخر وكاتباً بليغاً اشتهر بالكوفة في القرن الاوَّل من الاسلام وكان متفقَّهاً على نصارى الكوفة وعاقولا يُدعى جرجس اسقف العرب . فهذا كان متضلّعاً في درس كتب اليونان ونقل قسماً منها كآثار ارسطوطاليس وكتب شروحاً على الاسفار المقدَّسة وله عدَّة خطب وميامر لم تزل بين مخطوطات مواضع اوربَّة كلندن وباريس ورومية يتضح منها ما اتَّصف به جرجس اسقف العرب من العلم والبلاغة في الخطب الدينيَّة . على انَّ هذه الآثار كلها لم تبلغ الينا الاَّ بالسريانية . ومن المحتمل انَّ عربيَّها ضاعت فبقيت ترجمتها السريانيَّة . كانت وفاة جرجس المذكور في اواخر القرن الاوَّل للهجرة

وممن يجب نظمهم في سلك خطباء النصرانيَّة اولئك السيّاح والرهبان الذين تكرَّر ذكرهم في الشعر العربي المرويّ سابقاً فانهم لم يتقطعوا فقط الى الصلاة والزهد بل كثيراً ما كانوا يختلطون بالعرب ويدعونهم الى نبذ اديانهم الباطلة ويرشدونهم الى الصلاح بالخطب والمواعظ . كما ورد في تراجم البعض منهم كالقديس هيلاريون والقديس افتيميوس بين عرب الشام والقديس جرجنيوس رسول عرب

اليمن وموسى رسول الشاميين وغيرهم كثيرين سبق ذكرهم . فينبغي لذن القول بان الخطابة النصرانيّة الدينيّة قد ازهرت بين العرب كما ازهرت بين غيرهم من الامم وان لم تبلغ الينا صورتها بسبب آفات الزمان وكوارث الحدثان

٢ الخطابة المدنية بين نصارى الجاهلية

ان كانت الآثار الدينيّة من خطب نصارى الجاهليّة الباقية الى عهدنا نزرة قليلة فكان أملنا في جمع مآثرهم المدنيّة لعظم لتكاثف الرواة بما هو اقرب الى اخلاقهم وافكارهم . الّا انهم ما رووهُ منها لا يكاد يستحقّ الذكر او هو فصول حكميّة ليست خطباً وُضعت للإقناع والإقناع كما لا يُخفى هو غاية الخطيب ومحور الخطابة

ولكن اذا كانت الخطب المرويّة لا يكاد يُعباء بها انّا نجد في مآثر العرب ما يثبت شيوع الخطابة بين القبائل النصرانيّة . واوّل هذه القبائل واقدمها قبيلة اياد التي روينا اخبارها واثبتنا تنصّرها (ص ٧٥ — ٧٦ و ١٢٤) عن عدة كتبة . ومنها كان قس بن ساعدة الايادي المارّ ذكرهُ . فاياد هذه نسب اليها قدماء العرب البراعة في الخطابة لنا على ذلك شاهد حسن في مديح الشعراء لاياد وذكرهم لخطبائها منها قول الشاعر في وصف خطيبهم :

يرمون بالخطب الطوال وتارةً ... وحي الملاحظ خيفة الرُّقباء

ومدحهم بتطبيق خطبهم على مقتضى الحال تارةً بالطول والتصريح وتارة بالوجازة والكناية والاشارة . وقال احدهم يرثي ابا دؤاد بن جرير الايادي :

نعى ابنَ جرير جاهلٌ بمصابه ... فعمّ نزارًا بالبُكا والتحوّب
نعاهُ لنا كالليث يحمي عرينهُ ... وكالبدر يعشى ضوءهُ كلَّ كوكب
واضربُ من حدّ السنان لسانهُ ... وامضى من السيف الحسام المشطّب
زعيم نزارٍ كلّها وخطيبها ... اذا قال طأطا رأسهُ كلُّ مشغب
مليك قرومٍ سادةٍ ثم قادةٍ ... يعدّون يوم الجمع اهل المحصّب
كقسّ ايادٍ او لقيط بن معبدٍ ... وعذرة والمنطيق زيد بن جندب

فأثنى الشاعر على ابي دؤاد الايادي واطرأ بلاغته في الخطابة ثمّ ذكر اربعة غيره كلّهم خطباء وكلهم من اياد . ذكر لقيط بن يعمر الايادي الذي انذر قومه

غزوَ كسرى لهم وارسل اليهم قصيدتهُ الميميَّة التي هي خطبةٌ بليغة حاكت في صدورهم فنجوا من عدوّهم . ومنها قولهُ :

أبلغ اياداً وخلّل في سَراتهمِ ... انّي أرى الرأيَ إن لم أُعصَ قد نَصَعا
يا لهفَ نفسي ان كانت اموركمُ ... شتّى وأُحكِمَ امرُ الناسِ فاجتمعا
ألا تخافون قوماً لا ابا لكمُ ... امسوا اليكم كأمثالِ الدَّبى سُرُعا
ما لي اراكم نياماً في بُلَهْنِيَةٍ ... وقد ترَون شِهابَ الحربِ قد سطعا
صونوا جيادَكُمُ واجلُوا سيوفكمُ ... وجدّدوا للقِسيِّ النَّبلَ والشِّرَعا
يا قومُ لا تأمنوا ان كنتمُ غُيُراً ... على نسائكمُ كِسرى وما جمعا
وقلِّدوا امرَكم للهِ درُّكمُ ... رحبَ الذراعِ بأمرِ الحربِ مُضطلعا
لقد بذلتُ لكم نُصحي بلا دَخَلٍ ... فاستيقظوا انَّ خير العلم ما نفعا
هذا كتابي اليكم والنذيرُ لكم ... لمن رأى رأيَهُ منكم ومَن سمعا

وهي طويلة بليغة . وفيها كما ترى كلُّ صفات الخطابة الحماسيّة . وقد ذكر في مطلعها بيَع قومهِ النصارى

امَّا الخطيب الثاني المذكور فهو عُذرة بن حجيرة الخطيب الايادي الذي وصفهُ الشاعر وشبَّههُ بقس بن ساعدة بقولهِ :

فانّك ضحّاكٌ الى كل صاحبٍ ... وانطقُ من قسٍ غداةَ عُكاظها

لكنَّ آثارهُ الخطابيّة مجهولة . ومثلهُ زيد بن جُندب المنعوت بالمِنطيق اي الخطيب المفوَّه البليغ فانَّ خطبهُ لم تبلغ الى يدنا . ويروى عنهُ انهُ كان خطيباً وشاعراً معاً

وكما اشتهرت اياد في الخطابة بين قبائل العرب كذلك قرنوا بها قبيلة تميم وهي ايضاً من القبائل التي غلبت عليها النصرانيّة كما دلّت اليه كتبة العرب (راجع الصفحة ١٢٦ من كتابنا) . فمن خُطبائهم اكثم بن صيفي بن رباح التميمي . قال ابن نباتة في كتابهِ سَرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون (ص ١٢) انهُ « اشهر حكّام العرب في الجاهليّة وحكمائهم وخطبائهم » وقد جمعوا من كلامه حكماً وامثالاً ووصايا لقومهِ منها قولهُ :

يا بني تميم لا يفوتنّكم وعظي ان فاتكم الدهرُ بي . يا بني تميم ان مَصارع الالباب تحت ظلال الطمع ومن سلك الجدَّ أمِنَ العثار . ولن يعدم الحسود ان يتعب فكرهُ ولا يجاوز ضرّهُ نفسهُ والسكوت عن الاحمق جوابهُ . . . .

ومن اقوالهِ ما اوصى بهِ اولادهُ ليبقوا متحدين وضرب لهم مثل السهام المجتمعة :

كونوا جميعاً يا بَنيَّ اذا اعترى خطبٌ ولا تتفرّقوا آحادا
تأبى القِداحُ اذا اجتمعنَ تكسُّراً واذا افترقنَ تكسَّرت أفرادا

ومن خطباء تميم الذين ذكرهم العرب في اواخر الجاهليَّة واوائل الاسلام عطارد ابن حاجب والزبرقان بن بدر وعمرو بن الاهتم وعدُّوهم من اكابر السادات وبلغاء الخطباء. وذكروا دخولهم على نبي الاسلام وكلامهم بحضرته (اطلب الاغاني ٤ : ١٠ — ١٢) وهو لا يدلُّ على كبير امرٍ لا لفظاً ولا معنًى اذ لم يدوّنهُ كاتبٌ وقت القائهِ وانَّما روي بعد نيِّف ومئة سنة. ويصحُّ هذا في اساقفة نجران الوافدين على محمد كما ذكرهم ابن سعد وصاحب الاغاني وغيرهما. فلا يمكننا ان نبدي حكماً في عارضتهم نظراً للقليل المصنوع المروي عنهم. وكذا قل ايضاً عن بقيَّة خطباء العرب الذين اشتهروا بالخطابة فبقيت اسماؤهم وضاع كلامهم. وانَّما ثبت قولنا انَّ الخطابة النصرانيَّة دينيَّةً كانت او مدنيَّةً بلغت في الجاهليَّة مقاماً رفيعاً شهد لهُ التاريخ وان فُقد معظم آثارها (لهُ بقيَّة)

مناعي آل الوطن في اثناء الحرب

نظر عمومي للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

كما أشعرنا الموت بتخاسهِ المؤلم اذ ضرب في زمن الحرب العموميَّة العدد العديد من رؤساء الكنيسة وجلَّة الاساقفة ونخبة الاكليروس القانوني والكهنة كذلك بسط ساعدهُ وبطش باعمار الالوف من المواطنين من اهل العالم من الاعيان وارباب السيف والقلم وذوي الصلاح والاحسان لم يفرز بين المليك والمملوك والغني والصعلوك والصغير والكبير فكانت مناعي القوم تتوارد علينا تترى لا تكاد ترقأ العين من دموعها ويهدأ القلب من روعاتهِ. وكان بودّنا ان نخصّ الجميع بالذكر لكنَّ الصحائف الطويلة لا تستوفي باسمائهم. فاخترنا بعض الذين وقفنا على اتمّ من تاريخهم مباشرين اوَّلاً بالوجوه والمحسنين. ثمَّ نذكر بعض ضحايا الاتراك وشهداء الوطن ثمَّ الادباء والكتبة ثمَّ الاطباء. ونختم بذكر قوم من ذوي البرّ والصلاح وكلّ ذلك بوجيز

الكلام بمقتضى المقام ونشكر هنا كلّ من تلطّفوا فافادونا شيئاً عن المرحومين نخصّ منهم بالذكر الفيكنت فيليب دي طرّازي والكاتب الاديب جرجي افندي نقولا باز وجناب رزق الله افندي أيوب الحلبيّ وحضرة المنسنيور بشاره شمالي والاب سليمان غانم . ولا شكّ في أنّه يفوتنا كثير ممن يستحقّون ذكرًا اذ لم نحصل على شيءٍ من اخبارهم . وسنذكر الذوات الآتين على حسب تاريخ وفاتهم

١ الوجوه واصحاب الخير المحسنون

﴿ ابرهيم سعد ﴾ ولد في الشام سنة ١٨٥٣ وجاء بيروت بسبب حادثة سنة الستين وعاش فيها عمره مشتغلاً بالصناعة والتجارة مهتماً بمساعدة البائسين معتنياً بخدمة الجمعيات ومناصرة الاعمال الخيرية وهو مؤلف جمية القديس بولس الرسول لمساعدة الكنائس وانشاء المدارس في لبنان وقد سعى بتشييد عدة كنائس لملّة الروم الاورثدكس وشيَّد من ماله الخاص كنيسة في محطة بحمدون وتجاوزت احساناته السنوية في اواخر حياته الخمسة والثلاثين الف غرش على ان ثروته متوسطة وعائلته كبيرة توفي في ٧ كانون الاول ١٩١٤

﴿ اندره مركوبولي ﴾ احد اعيان حلب الشهباء ورجالها المعدودين . كان قنصلاً لدولة البرتغال وقضى حياته قدوةً صالحة لكل مواطنيه . كان المسيو اندره عريقاً في الدين محبًا لأهلهِ يساعدهم بكل ما امكنهُ لاسيَّما الاجانب منهم لم يكلّ عن ذلك طول حياته فيتوكّل بسائر امورهم متفانياً في خدمتهم نخصّ منهم بالذكر الآباء الدومنيكان كان يقوم بكل حاجاتهم بنشاط عجيب وكانت داره العامرة منزلاً يكرم فيهِ مثوى ضيوفه المتواردين اليه . وقد عُرف المسيو مركوبولي برحمتهِ نحو الفقراء والمحتاجين وقد نجّى كثيرين من مخالب الموت خصوصاً عند وقوع القحط والغلاء ففتح مخازنهُ بكل كرم لجميع البؤساء . توفي رحمهُ الله مأسوفاً عليه من كافّة الحلبيين في ٣١ ك٢ سنة ١٩١٥ . ومن خصال الفقيد حبّهُ للعلم ومحبّة الآثار القديمة جمع منها قسماً صالحاً وقد خلّف مكتبةً عامرة . وكان للمسيو اندره ولد وحيد يشبه اباهُ بحسن شمائله فاغتالته المنون وقصفت غصنهُ الرطيب في ٦ آذار سنة ١٩١٨

وقد سبق الى دار البقاء المسيو اندره اخوه المسيو جورج المتوفى فجأة في ١٩ آذار سنة ١٩١٣ وكان قنصلاً في الشهباء لدولة اسبانية · جارى اخاهُ بمجاملته الدينيَّة ومروته وكرم نفسهِ وحرصهِ على فعل الخير الى القريب والذبّ عن الضعفاء وحبّ الآداب · وقد توفي ابنهُ سيلفيو في ربيع شبابه في ٢١ نيسان سنة ١٩١٧ وكان احسن فرع لأطيب دوحة · تُبنى عليه وعلى ابن اخيهِ الآمال لثبات وترقي محل اسرة ماركوبولي التجاري الشهير البعيد الاسم · رحمهم الله جميعاً واجزل ثوابهم

﴿ يوسف اندريا ﴾ من افاضل موارنة الشهباء ومشاهير رجال الخير كان يجاري آل ماركوبولي بمزاياهم الحسنة كحبّ الدين وملازمة كلّ فرائضهِ وحبّ القريب والسخاء بمالهِ الخاصّ نحو ذوي البأساء · لا يثنيهِ شيء عن مساعدتهم وذلك بصورة خفيَّة مستنكفاً عن ثناء الناس · وكان ذا الكلمة النافذة في المجلس الطائفي المقام لادارة اوقاف الموارنة فأحسن نظارتها · ومن مبرّاتهِ التي تُذكر فتُشكر انشاؤه هيكلين في كنيسة مار الياس المارونيَّة في حلب وقد صرف مبالغ كبيرة لترصيف ارضها بالرخام الاسود والابيض مع ترصيف ساحتها بالبلاط الابيض اليابس وكان اشترط على رؤساء الكنيسة ان لا يُذكر اسمهُ · توفي هذا الرجل البارّ في ١٩ شباط سنة ١٩١٦ ودُفن في جانب الهيكل الذي ابتناهُ على اسم القديس الرسول اندراوس

﴿ المركيز موسى دي فريج ﴾ استأثرت بهِ الرحمة الالهيَّة في ١٧ ايار ١٩١٦ بعد حياة قضاها في خدمة الوطن وجيهاً مكرَّماً لدى الخاص والعام · كان المركيز موسى درس في مدرستنا في غزير واتقن فيها اللغات ومبادئ العلوم · وقد كان في كلّ حياتهِ محباً للخير مساعداً للضعفاء متشبثاً بأهداب الدين وهو من اعضاء اخويَّة الحبل بلا دنس وجمعيَّة مار منصور · وساعد في زمانهِ على النهضة الادبيَّة في الجمعيَّة العلميَّة السوريَّة · ولهُ فصول وخطب وقصائد طُبعت في مجموعها · وقد اشبهتهُ قرينتهُ المصونة مدام الكسندرينة فريج باعمالها الخيريَّة فسعت باسعاف الفقراء واليتامى والجمعيات الخيريَّة وهي كريمة البارون فون ثكنكر قنصل النمسة في بيروت وكان اخوها من حاشية الامبراطور فرنسوا جوزف · ونجلهما المركيز جان رضيع محامد والديه الحسنة

﴿ توفيق بشاره ﴾ هو ابن جناب المهندس بشاره افندي من طائفة الارمن

الكاثوليك توفي في ريعان الشباب في ٨ حزيران ١٩١٦ وعمره ٢٦ سنة · امتاز كاخويه ادمون واوجين بذكائه وبراعته في الاشغال العمومية والمشروعات النافعة لصالح الوطن وكان مع ذلك مثالاً للشبان بحسن آدابه وتديّنه

﴿ اسكندر بك الحدّاد ﴾ وقعت ايضاً وفاته في السنة ١٩١٦ كان بارعاً باللغة التركيَّة فارسلته الدولة العثمانيَّة قائمقاماً الى حجين في قيليقية · وصار قائمقاماً على زحلة · وكان في عهد رستم باشا متصرف لبنان رئيساً على القلم التركي

﴿ خليل بارد ﴾ شقيق وجيه قومهِ بشاره افندي بارد توفيّ في ١٧ ايار سنة ١٩١٧ · كان على جانب عظيم من التقوى شأن اسرته الكريمة منتظماً في اخويَّة الشبان في كليَّتنا التي كان احد خرّيجيا المتازين في اوَّل سني تأسيسها · وكان لطيف المعاشرة يقضي اوقاته في الاشغال التجاريَّة ومطالعة التآليف التاريخيَّة والعلميَّة · وكان يحبُّ زيارة الفقراء ويُحسن اليهم بسخاء

﴿ الشيخ عبد الرزّاق البيطار ﴾ من كبار السادة المسلمين في دمشق · كان مولدهُ سنة ١٢٥٣ هـ (١٨٣٧ م) وتوفي في ١٠ ربيع الاوَّل سنة ١٣٣٥ (ك ٢ ١٩١٧ م) امتاز بين عموم اهل وطنه بجدّهِ في تحصيل العلوم الدينيَّة والادبيَّة ولاسيما العلوم العصريَّة من تاريخ وادب وهيئة · وتفرَّد بمعرفة الموسيقى العربيَّة · وقد حظينا غير مرَّة بزيارتهِ وتمتَّعنا بأنسهِ وطيب اخلاقهِ · وكان الشيخ حرَّ الافكار وكثيراً ما قاوم ارباب الخرافات والخزعبلات الشائعة بين مسلمي الفيحاء كما صرَّحت به مجلَّة المنار (٢١ : ٣١٢) وقد خلَّف بعض التآليف اخصُّها كتابهُ المعنون بحلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر · وهو سفرٌ ممتع نتمنى ان يخلهُ اهلهُ الى الطبع قريباً

﴿ الشيخ عبد الرحمان الحوت ﴾ ودَّع ايضاً الحياة في هذه السنة ١٩١٧ وكان نقيب اشراف بيروت معروفاً في الثغر بفضلهِ وحبّهِ للسلام وقوراً موقَّراً من الجميع مشكوراً لما يسديه الى قومهِ من الخير والاحسان

﴿ الشيخ محمَّد كامل الرافعي ﴾ من اماثل الاسرة الرافعيَّة الشهيرة في طرابلس الشام · فيها ولد نحو السنة ١٨٥٦ وفيها توفي في اواخر السنة ١٩١٧ اخذ العلوم الدينيَّة والعقليَّة عن علماء ملّتهِ واشتغل بآداب اللغة والتدريس حيناً ثم باعمال الحكومة مدَّة طويلة وعرف الشيخ بحريَّة افكارهِ وحبّهِ للحقّ ونصرتهِ في وجه اصحاب

التقليد من أمتهِ كالمولويّة والصوفيّة حتى عدّ ركناً من اركان النهضة الاسلاميّة الحديثة في طرابلس . وكان مع ذلك كثير الاهتمام بعشيرته . وقد ذُكر في مجلة المنار (٢١ : ١٨) حبّ نبلاء المسيحيين له لِما عرفوا من حرّيتهِ وشجاعتهِ وصدق وطنيّتهِ وعدّد بين مزاياه * وقوفهُ في وجوه الطُّغمة الطغاة من كبار رجال الحكومة البائدة في عهد عبد الحميد ومن بعدهِ بل واحسانهُ الى مواطنيهِ المسيحيين على اختلاف طبقاتهم بالتأمين والتطمين لهم ايام الحرب العامّة كلّما همّ بهم شيطان من شياطين الحكومة او طرأ عليهم حادثٌ من حدثان يطرأ على الأمّة *

﴿ جرجس بسّول ﴾ كانت وفاته يوم عيد شفيعهِ في ٢٣ نيسان ١٩١٧ . اصلهُ من حاصبيا دخل في خدمة الامير بشير الشهابي فصار من جملة فرسانه فبلغ من العمر مئة سنة ونيف . وكان راوية لتاريخ زمانهِ بدقّة عجيبة

﴿ جرجس مسعد ﴾ هو ابن نخله مسعد كان شاباً حميد الصفات وحيداً لابيهِ اخترمتهُ المنون في عزّ شبابهِ في ١٦ آذار ١٩١٨ وقد اسف عليهِ معارفهُ ولاسيّما رفقتهُ في المدرسة الذين وجدوا فيهِ خير مساعد في مدّة الحرب اذ اخنى عليهم الدهر . وقد توفي ابوهُ الفاضل في اوائل السنة الحاليّة (٥ ك ٢ ١٩٢٠)

﴿ اسكندر زياده ﴾ هو عميد عائلتهِ الكريمة ووجيه قومهِ رجل الدين والفضل والسياسة . ولد في جديدة غزير سنة ١٨٤٦ وتوفيّ في ٢٠ آب سنة ١٩١٨ اذ ظهرت اوّل لوائح خلاص الوطن بانتصار الحلفاء . تخرّج المرحوم في مدرسة عينطورا وتعاطى فنّ المحاماة لجمع في شخصهِ بين صفات الرجل التقيّ الصالح والرجل العمومي المحنَّك بالفنون الشرعيّة وآداب الهيئة الاجتماعيّة . تُعهدت اليهِ مديريّة ناحية الفتوح سنين طوالاً فألّف بين القلوب وربح شكر الجميع بحسن تدبيرهِ وذكاء عقلهِ وحصافة رأيهِ . ومن مميّزاتهِ عنايتهُ في صلاح اهل بيتهِ وتهذيب اولادهِ وخلوص مودّتهِ مع اصدقائهِ واعتصامهِ غير المنفصم بحبل الدين المتين

﴿ روزاريو بسّول ﴾ خرج من كليّتنا قبل الحرب بزمن قليل فاحرز لهُ بسلوكهِ الحسن وطيب آدابهِ حبّ اقرانهِ وكثيراً ما سمعنا رؤساءهُ الذين يثنون على تقواهُ وقدوتهِ الصالحة . كان ابحر الى مصر لعقد الزيجة فيها اذ قفلت الحرب دونهُ باب الرجوع الى مسقط رأسهِ فاغتنم هذه الفرصة ليخدم بني وطنهِ في مصر مادّياً وادبياً

فشكروا لهُ كرمهُ . وكان روزاريو من اعضاء جمعيَّة مار منصور يرتاح الى كل اعمالها الخيريَّة . توفَّاه الله في ٢٣ ايلول ١٩١٨ .

﴿ ميشال بك سرسق ﴾ من وجوه طائفة الروم . كان تخرَّج في كليَّتنا . وعُرف بدماثة الاخلاق والمؤانسة وحبّ الادب . وقد اختارهُ النصارى البيروتيُّون قبل الحرب مبعوثاً عنهم الى ندوة الأمَّة في الاستانة . ولمَّا انتشب الحرب اختصهُ جمال باشا بصداقتهِ فانتهز الفرصة لجلب القمح من حوران واحتكارهِ ورَفع اسعارهِ فحرَّك ذلك في قلوب كثيرين الغضب عليهِ فنسبوا اليهِ قسماً من النكبات التي حلَّت ببيروت وجوارها . عاجلتهُ المنيَّة بعد الهدنة في شباط ١٩١٩

﴿ جبران فرح ﴾ هو جبران بن مسعود فرح الماروني اصلهُ من صغبين . احد كبار التجَّار في الثغر وفي باريس مع اخوانهِ . اشتهر بصدق ايمانهِ وكثرة مبرَّاتهِ واحسانهِ الى الجمعيَّات الخيريَّة والى الفقراء والمساكين خصوصاً في ايَّام الحرب . وعُرف باستقامتهِ في المعاملة فربح ثقة جميع مواطنيهِ . توفي في شهر نيسان سنة ١٩١٩

﴿ يوحنَّا الدوُّر ﴾ هو ابن المرحوم خليل الدوُّر الذي تشرَّف منزلهُ في بيروت بضيافة كثيرين من كبار القوم كالبرنس دي جوانفيل والدوق دورليان . توفي في ٨ ك٢ ١٩٢٠ فجأةً . كان يوحنَّا كأبيهِ رجلاً متحمساً في الدين ملازماً لفرائضهِ محبًّا للخير محسناً نحو الفقراء بيد سخيَّة وكان في ايَّام الحرب يوزّع كل يوم طحيناً على الفقراء فيلتجئ اليهِ المساكين والمستورون . وكانت تشبهُ في احسانهِ اختهُ مادام هيلانه فرج الله ذات الصلاح والتُقى . توفيت ايضاً في السنة ١٩١٩

وعارضت مدام هيلانة سيّدة اخرى دعاها الله الى ملكوتهِ في وقت الحرب نُريد بها مدام منَّة نصرالله طرازي التي خدمت طائفتها السريانيَّة اجلَّ الخدم بما قدمتهُ من الصدقات للكنائس لاسيَّما كنيسة السيّدة في الشرفة وكنيسة بيروت التي كانت من اعظم الساعيات في تشييدها . وكانت جعلت بيتها منزلاً للبطاركة والاساقفة وعموم الاكليروس السرياني . كانت وفاتها ايضاً مدَّة الحرب

﴿ شديد بك حبيش ﴾ هو فقيد الاسرة الحبيشيَّة والوطن الذي توفَّاهُ الله في ٥ آذار الاخير عن ٨٠ سنة بنيّف . كان مولدهُ في قصبة غزير وفيها تلقَّى العلوم في مدرستنا في رفقة بعض مشاهير الرجال ديناً ودنيا نخصُّ منهم بالذكر غبطة البطريرك

المارونيّ الحاليّ والمثلث الرحمات المطران بطرس الزغبي رئيس اساقفة قبرس . ولم يزل شديد بك يترقّى في المناصب في خدمة الدولة العثمانيّة حتى صار ممثلاً لها في معظم عواصم اوربّة فانتهى الى باريس وقضى فيها عشر سنوات كقنصل عام لتركية . وقد نال في كلّ هذه المراتب ثقة دولته والدول التي تولى عندها مصالح بلاده بما ابداه حيثما حلّ من حسن التدبير وجزيل الهمّة ولطف المعاشرة وصدق الوفاء . شهدت على مقامه الاوسمة والامتيازات التي اصابها في كلّ مواطن مناصبه السامية . وقد بقي مع ذلك مواظباً لفرائض دينه ثابتاً على مبادئه القويمة الى آخر انفاس حياته

وكان من الواجب ان نقدّم على هذا الباب ذكر اولئك ملائكة السلام وشهيدات الحب الصادق للقريب راهبات المحبّة وراهبات الناصرة والسجود والراهبات الالمانيّات وراهبات قلبي يسوع ومريم اللواتي تفانَيْنَ في مدة الحرب في اسعاف كل المحتاجين من مرضى وايتام وفقراء في المستشفيات والمياتم والآوى ومعامل الشغل . وقد بلغ بهنّ هذا الحب اقصى درجاته حتى توفيّ منهن اكثر من خمسين راهبة عُدي معظمهنّ بامراض الذين كنّ يبذلنَ نفوسهنّ في خدمتهم على ان وصف اعمالهنّ يستدعي كتاباً مفرداً نتمنى ان يحرّره قلم بعض ادبائنا فيخلّد ذكر تلك النفوس الشريفة

وكم ودّع الحياة من الذوات غير الذين ذكرناهم ولم نطّلع على اخبارهم كالمرحومين يوسف يارد (١٩١٨) وعبدالله غانم (آذار ١٩١٧) والقانوني سليم قشوع (٦ آب ١٩١٨) واسكندر مسك (٢٠ اذار ١٩١٨) ونخلة قاطي (١ تموز ١٩١٧) وغيرهم امدّهم الله برحمته

٢ ضحايا الاتراك وشهداء حب الوطن

١ نخله باشا المطران ✠ من اسرة آل المطران الكريمة البعلبكيّة . كان درس في كلّيتنا مع اخويه ندره بك والياس . وعُرف مثلهما بحبّه لفرنسة فنسبت اليه الخيانة للدولة التركيّة لمحاولته إلحاق بعلبك بلبنان ووضعهما تحت حماية فرنسة فبعد توقيفه وحبسه أُرسل مشهَّراً مهاناً بطريقة همجية في شوارع دمشق في ٦ ك ٢ سنة ١٩١٥ مع شتم النصارى وتهييج العامة عليهم . ثم أُبعد الى جهات حلب واورفا وقُتل هناك رمياً بالرصاص

❁ يوسف بشاره الهاني ❁ من وجوه الطائفة المارونية في بيروت كان ترجماناً لقنصلاتو فرنسة في بيروت. وُجد اسمهُ معلقاً على عريضة قدَّمها بعض الاعيان لدولة فرنسة يطلبون منها التوسط لدى الحكومة العثمانية في شؤون السوريين واصلاح احوال النصارى. فعُدَّ عمله خيانة وحُكم عليهِ بالاعدام فأُنفذ فيهِ الحكم في ٥ نيسان ١٩١٥ بعد ان استعدَّ بقبول الاسرار للوقوف أمام الديّان وتبرأ من جرم الخيانة

❁ الشمّاس اناتول ميژره ❁ كان هذا اكليريكياً فرنساوياً قدم الى سورية واتخذهُ سيادة المطران يوسف الدوماني كاتباً لاسراره. فلمّا دخلت تركيَّة في الحرب وأُبعد الاجانب أعلم سيادتهُ متصرّف طرابلس بامر الشمّاس فاشار بابقائه عنده فبقي معتزلاً الى ان وشى بهِ بعض المهاجرين فأُرسل مخفوراً الى دمشق بعد ضبط اوراقه وفحص مضامينها فحُكم عليهِ بالاعدام في ٢٢ تشرين الثاني سنة ١٩١٥ لكنه تبرأ قبل موته من جرم الجاسوسيَّة وصفح عن قاتليه

❁ عبد الحميد الزهراوي ❁ هو من سادة المسلمين ولد في حمص من اصل شريف سنة ١٨٧١ ثم درس في وطنه العلوم النقليَّة والعقليَّة وسافر الى الاستانة ومصر وعاد الى حمص وفي نيَّته ان يخلص بلادهُ من جور الحكومة التركيَّة فنشر جريدة المنير سرّاً يطبعها على مسادة غرويَّة. فلم يلبث مأمورو الدولة ان عرفوا بها فأبطلوها. فرجع عبد الحميد ثانية الى الاستانة وحرَّر في جريدة المعلومات العربيَّة عدَّة مقالات ادبيَّة اصلاحيَّة اثارت غضب السلطان الخليع سيّه فأُوقف بأمره ثم أُرسل تحت المراقبة الى دمشق ولم يزل مدَّة معرضاً للتُّهم فيها وفي غيرها حتى فرّ هارباً الى مصر فحرَّر في جريدة المؤيد. ثمَّ في «الجريدة» لسان حال حزب الأمة ولما أُعلن بالدستور العثماني وقع عليهِ الاختيار من اهالي حمص لمجلس الاعيان. فقام بالدفاع عن مصالح وطنهِ بازاء جمعية الاتحاد والترقي حتى تمكَّن جمال باشا من الانتقام منهُ فأُوقف في اوائل الحرب وحُكم عليهِ بالاعدام بتهمة تأسيسهِ للمنتدى الادبي واشتراكهِ بمؤتمر باريس العربي سنة ١٩١١ المطالب باللامركزيَّة وحضر هذا المؤتمر قومٌ من نصارى ومسلمي الشام من جملتهم بعض الذين حُكم عليهم بالاعدام كالشيخ احمد حسن طبّاره صاحب جريدة الاصلاح في بيروت وعبد الغني العريسي صاحب جريدة المفيد فيها وعبد الكريم الخليل رئيس المنتدى الادبي المتخرج في المدرسة الملكيَّة

ومدرسة الحقوق في الاستانة ومحمّد المحمصاني من وجهاء بيروت . فهؤلاء نفذ فيهم حكم الاعدام في ٦ ايار ١٩١٦ وقُتل في دمشق مع الشيخ الزهراوي شفيق بك المؤيد والامير عمر حفيد الامير عبدالقادر الجزائري وشكري بك العسلي احد اعضاء مجلس المبعوثان وعبد الوهّاب المليجي (الانكليزي) ورشدي الشمعة ورفيق رزق سلوم الشاعر والخطيب الحمصي . وقُتل في بيروت مع الشيخ طبّاره والعريسي عُمَر بن مصطفى حمد ومحمّد حسين الشنطي وعارف الشهابي وتوفيق البساط وسيف الدين الخطيب وسعيد عقل وبترو باولي وجرجي الحداد وسليم محمّد الجزائري وعلي حاجي عُمر والضابطان امين لطفي وجلال البخاري . كلهم لجنوحهم الى الاستقلال وطلبهم اللامركزيّة . ومعظمهم من البيوتات الكريمة او توابغ الكتّاب ساروا الى الموت برباطة جأش لاعنين ظالم الاتراك وداعين لخلاص الوطن

وكان سبقهم الى الابديّة في بيروت شنقاً في ٢١ آب مع محمّد المحمصاني اخوهُ محمود وعبد الكريم الخليل وصالح بك حيدر وعبد القادر خرسا ونور الدين القاضي وعلي الارمنازي وسليم عبد الهادي ومحمود العجم ونايف تلّو ومسلم عابدين

﴿ الاخوان انطون وتوفيق زريق ﴾ اصلهما من طرابلس الشام من طائفة الروم الاورثدكس وتخرّجا في الكليّة الاميركانيّة . ثمَّ هاجر انطون الى اميركا واشتغل بالصحافة فدعا مواطنيهِ الى طلب الاستقلال . ثمَّ رجع الى الوطن اذ أُعلن بالحرب العامّة فقُبض عليهِ وعلى اخيهِ بتهمة الفرار من العسكريّة وقُتلا معاً في المزّة بقرب الشام في ١٤ ايلول ١٩١٦

﴿ عبدالله ظاهر ﴾ كان هذا شيخاً على القبيّات في جهات عكّار وكان محبًّا للسلام يخدم وطنهُ بغيرة . فوشى بهِ البعض الى جمال باشا لحبّهِ لفرنسة فأرسل يستدعيهِ الى بيروت مخفوراً حيث حُكم عليهِ بالشنق فقُتل في ٢٠ نيسان ١٩١٧

﴿ الشيخان فيليب وفريد الخازن ﴾ لم نأسف ما أسفنا على احد في إبّان الحرب أسفنا على ذينك الشقيقين بل الدرّتين الثمينتين فرعي اسرة الكرام ورضيعي افاويق الآداب الشيخين فيليب وفريد الخازن . اللذين طلعا كفرقدين في سماء لبنان فشرّفا مسقط رأسهما العزيز بتقاهما وتعمّقهما في الدين وسعة معارفهما ودفاعهما عن امتيازات وطنهما ضمن القانون وعرفانهما الجميل نحو فرنسة التي قلّدت جدودهما الرتب

الشريفة . امر بقتلها جمال باشا ظلماً دون ان يثبت عليهما جناية كما فعل بغيرهما ممن حكم باعدامهم . والا كان موتهما ابعى من حياتهما استعداً له استعداد الابرار بالرياضة والصلاة والقراءة الروحية والتقرّب من الاسرار المقدسة فسارا الى ساعتهما الاخيرة سير الشهداء الذين يرون في الموت النجاة من بلايا الارض والفوز باكليل الظفر . تمّ ذلك المشهد الخطير صباح اليوم السادس من حزيران ١٩١٦ . ولد فيليب سنة ١٨٦٠ وفريد سنة ١٨٦٦ . وتلقّى الاول دروسه في مدرسة الآباء اليسوعيين وفي غيرها من مدارس لبنان وتعمّق في درس العربية والشريعة على الطيّب الآثار المطران يوحنا حبيب . واتمّ الثاني دروسه في كلية الآباء اليسوعيين في بيروت . وقد انشأ كلاهما جريدة الارز في جونيه سنة ١٨٩٥ فاشتهرت بروحها الطيّب ومبادئها الحرة الصادقة . وقد خلّفا ايضاً آثاراً علمية وادبية سنذكرها ان شاء الله مع ترجمتها المطوّلة في فرصة اخرى . وفي السنة ١٩١٤ ابعدت الحكومة التركية الشيخ فيليب الى حلب ثمّ الى الشام فرافقه اخوه مختاراً وفي ٢٥ آذار ١٩١٦ استدعي الاثنان الى عاليه فأودعا السجن فزادت تلك النكبة تعلّقهما ببعضهما فعاشا متحدين وماتا متعانقين

﴿ توفيق عبدالله بدوي ﴾ من وجوه دمشق الشام . ولد فيها سنة ١٨٨٢ وتلقّى علومه في مدرسة عين طورا الشهيرة . تعاطى التجارة فاشتهر بنشاطه وامانته فاختارته دولة فرنسة العظمى كترجمان لقنصليتها في الفيحاء . فقام بمهنته القيام المشكور . وقد عُرف توفيق افندي بحسن سيرته وكرم نفسه وآدابه . ولما انتشبت الحرب العمومية ابعدته الدولة العثمانية الى بلاد الاناضول التركية حيث ذهب شهيد تعلّقه بفرنسة في دار الغربة فتوفي في ريعان الشباب في ٢٢ ايار ١٩١٨

﴿ حبيب دوناتو ﴾ هو حبيب بن يوسف دوناتو كان ايضاً من تراجمة قنصلية فرنسة في دمشق ذا همّة واقدام . أُبعد كذلك في اوائل الحرب العمومية منفياً الى ولاية انقرة . توفي في ٥ نيسان ١٩١٨ في قلعة جك وقيل انه قُتل مع غيره وهو راجع الى دمشق اذ سقط النفق على عربات قطار السكك الحديدية . وكان حبيب من الطائفة اللاتينية خفيف الدين فانتظم في سلك الشيعة الماسونية لكنّ المنفى كما يظهر ثاب عقله . وقد كتب وصيته الاخيرة في مدينة أطنه وفيها يجاهر بايمانه مصرّحاً بانه

يريد ان يموت في حضن الكنيسة الكاثوليكيَّة . وقد اوصى بقسم من مالهِ للفقراء ولاعمال البرّ (لها بقية)

مَطبُوعَاتٌ شَرقيَّةٌ جَدِيدَة

منشور بطريركي

الى جميع ابناء الطائفة الروميَّة الملكيَّة الكاثوليكيَّة

طبع بمطبعة القديس بولس في حريصا (لبنان) سنة ١٩٣٠

كلٌّ يعلم ما يسبّبهُ غالباً تداخل الشعب في الانتخابات الاسقفية من السجس والفتن فاحبَّ غبطة السيّد ديمتريوس القاضي بطريرك الطائفة الروميَّة الملكيَّة الكاثوليكيَّة ان يتلافى هذا الخلل بمنشور خاصٍّ مملوءٍ حكمةً وغيرةً على صوالح الكنيسة والرعايا معاً وقد اودعهُ من الدلائل العقليَّة والشواهد النقليَّة ما من شأنهِ ان يُقنع كلَّ من لا تعميهِ الاغراض الشخصيَّة ولا يفضّل المنافع الخاصَّة على الخير العامّ . فنشير الى الجميع ان يطالعوهُ في جريدة البشير ويمعنوا النظر في حقائقهِ

تاريخ العصر الدموي

تأليف ناصيف بك ابي زيد السوري اللبناني

طُبع في دمشق في مطبعة الفيد سنة ١٩١٩ (ص ٦٧٢)

ظنَّ جمال باشا ورصفاؤهُ الاتراك انهم يستطيعون بالسيف قطع لسان التاريخ من رواية فظائعهم فساء ظنّهم ولو سكت القلم لنطقت الحجارة . ومن افضل ما كُتب في ما أَلمَّ بسوريَّة من الكوارث والفواجع في اثناء الحرب العامَّة الكتاب المعنون بتاريخ العصر الدموي . وقد طابق الاسم المسمّى فانَّ الدماء جرت سيولاً في تلك المدَّة منها في ساحات حرب كانت تركيَّة ضنّها في غنًى لو بقيت في الحياد عن الدول المتحاربة . ومنها بالحكم الجائر الذي ابداهُ الاتراك باعدام كثيرين من كرام

الناس ونخبة البكتبة . وكم امتزج بهذه الدماء من الدموع السخينة المهرقة من عيون الوف من الاهلين بسبب نفيهم عن الوطن وتمريضهم للمجاعة وللامراض الوبيئة . فكلّ هذه المشاهد المؤثرة قد وصفها مؤلف هذا الكتاب كشاهد عياني ناله قسم من ويلاتها. فلا شكّ انّ كتابة سيبقى كبرهان حيّ على همجيّة قوم لم يزالوا منذ حلولهم في انحاء الشام يسومون اهلها خسفاً وهواناً ل . ش

مصباح الحقائق

الخوري يوسف داغر التنوري

طبع في المطبعة اللبنانيّة في بيروت سنة ١٩٢٠ ص٣٣٣

هذا كتابٌ ثانٍ اتحفنا به حضرة مؤلفهِ جملة تتمّة لتأليفهِ السابق البرهان الصريح في الدين الصحيح (الشرق ٢٠ : ٧١) وهو ليس دونهُ شأناً وفائدةً . فانهُ شرح موسّع للتعليم المسيحيّ اوضح فيهِ المؤلف الفاضل بكلام مسهب وطريقة خطابيّة وامثال وقصص لطيفة كلّ الحقائق الاعتقاديّة ووصايا الله وكنيسته واسرار البيعة فجاء افضل كتاب من جنسهِ للمعلّمين والمعلّمات وكلّ من عُهد اليه ايضاح التعليم الديني. ولا يدع انّ كتاباً مثل هذا يقتضيهِ مراجعات عديدة لتحسينهِ وزيادة ضبطهِ كما ايضاً في حسن طبعهِ وتجريدهِ من الاغلاط الطبعيّة. ومما نستلفت اليهِ نظر المؤلف تطبيق بعض القضايا مع عادات الكنائس الشرقيّة ومراجعة الحق القانونيّ الجديد للوقوف على تحديداتهِ في الصوم وتناول القربان المقدس ومناولة المرضى والتناول الفصحيّ خارجاً عن الكنيسة الرعائيّة . ومما يقتضيهِ بعض التحوير قولهُ (ص ١٠٠ — ١٠١) ان السيد المسيح «سيعود ليدين الاحياء الباقين يومئذٍ في قيد الحياة ويحاكمهم وبعد ذلك يموتون ثمّ يُبعثون...» فانهُ لا يطابق رأي معظم اللاهوتيين . وهناك بضعة امور تحتاج الى زيادة ايضاح او تدقيق او ازالة شبهات كتعريف الغفران (ص٣١٥) وشرح مفاعيل الندامة الكاملة (٢٩٨) وسرّ مسحة المرضى (٣١٦) وسرّ الثالوث (٣٢) والاستحالة (٢٧٥) والخلاص خارجاً عن الكنيسة (١١٣) . وغير ذلك بحيث يصبح هذا الكتاب دستوراً صادقاً ومرجعاً اميناً لكلّ من يتولّى تفسير التعليم المسيحي ل . ش

كتاب العفاف

الى الشبيبة والناشئة المسيحيّة . عرّبهُ الخوري بطرس ابو زيد ب م

طُبع بمطبعة القديس بولس في حريصا (لبنان) سنة ١٩٢٠ (ص ٣٢ + ٢٦٣)

كان المرحوم الاب ريشـه غيتون من كهنة كابيتنا وضع باللغة الفرنساويّة سفرًا جليلًا في العفاف اودعهُ خلاصة ما استفادهُ من معلمي السيرة الروحيّة وافاضل الاطبّاء في هذا الصدد واضاف اليه ما اوقفهُ عليه اختبارهُ الطويل في ارشاد الشبيبة . فاستحسن تأليفهُ عموم المطّلعين على مضامينهِ وسعوا بنشرهِ بين الشبّان والمرشدين الروحيين ورؤساء المدارس ليجعلوهُ سياجاً لبرارة الناشئة المسيحيّة بإزاء اعواء العصر الفاسدة . وكنّا نتمنّى ان ينقلهُ الى لغتنا العربيّة بعض افاضل الكتبة فسبق الى تحقيق هذه الامنيّة حضرة الخوري بطرس ابو زيد الباسيليّ المخلّصي فاخرجهُ على صورة لطيفة مراعياً فيه امانة الاصل مع حسن التعريب . فنثني على همّتهِ اطيب الثناء ونحضّ كلّ من تهمّهم آداب الشبيبة من ارباب العيال المسيحيّة والكهنة ومحبّي خير الوطن ورقيّه على مطالعة هذا الكتاب ونشرهِ لجزيل فوائدهِ

DIE GLIEDERUNG DER AUSTRALISCHEN SPRACHEN von P. M. Shcmidt. S. V. D., Wien, 1919, pp. XVI-299

تركيب اللغات الاوسترالية

في قارّة اوسترالية الواسعة التي اصبحت بفضل الاوربيين والاميركيين من ارقى البلاد تمدّنًا مدّة قبائل قديمة وطنيّة تسرح في البراري وتعيش من الصيد ورعية المواشي . فلهذه العناصر الاهليّة لغات جمّة تعدّدت في وصفها كتابات اللغويين لكنّ كثيرًا من اسرارها لا تزال مجهولة . فلكشف هذه الغوامض قد وضع حضرة الاب شميت مدير مجلّة انثروپوس الشهيرة في قيّنة هذا الكتاب النفيس . وذلك انهُ اشتغل بعد الدروس الطويلة في لغات شمالي البلاد وجنوبها وغربها وشرقها الى ان يدرك كنه تلك اللغات ويعرف خواصها وما يوجد من العلاقات بينها اوّلًا ثمّ بين لغات قبائل اخرى خارجاً عن اوسترالية في جزائر اوقيانية وغيرها فدوّن كل ملحوظاتهِ في هذا السفر الواسع الرحب الدالّ على صبر عجيب في مؤلّفه فضلًا عمّا اقتضاه من المعارف

الجنّة. وقد سهّل حضرتهُ بذلك للباحثين عن اصول اللغات المتابلة بين ألسنة العرب والاطلاع على حلقات تسلسُلها لعلّهم بذلك يقفون على اللغات الاوليّة. فنشكر الاب شبيت همّتهُ ونترجّى لكتابهِ رواجاً ل. ش

انتشار الامراض وقصر الحياة

للفسيولوجي اسكندر زخور

طُبع في المطبعة اللبنانيّة في بيروت ١٩٢٠ (ص ٣٧)

قال احد اساطين الطبّ انّ البطنة وشهوة الطعام المفرطة قد قتلت من البشر اكثر من الحروب. وقد قام في زماننا بين الحكماء وانصار الصحة العموميّة قوم ممّن بيّنوا فضل الحِمية واطرأوا الكنيسة لوصاتها بالاصوام والانقطاعات ورأوا في عملها اقرب واسطة لحفظ الصحّة ودفع الامراض المتولّدة من الحرص الزائد على الطعام. وممّن تولّى بيان هذه الحقيقة جناب الفسيولوجي اسكندر زخُور فنشر في ذلك عدّة مقالات جمعها في هذا الكرّاس ومنها يلوح انّ الاقتصاد في المآكل واتخاذ الوسائل الصحيّة القريبة المنال كالرياضة والاستحمام واستنشاق الهواء النظيف لمّا يقوم في وجه معظم الامراض ويطيل الحياة.

انجلاء الاسرار المكنونة

في بيان الدلائل التي تنبئ بدنو يوم الدينونة

للخوري بطرس القرح. طُبع في بيروت في المطبعة الشمسيّة سنة ١٩٢٠ (ص ١٩٠)

متى يأتي يوم الدينونة ? تلك مسألة خطيرة حاول كشف اسرارها اركان الدين وجلّة العلماء وذلك منذ اوائل النصرانيّة كما يؤخذ من بعض آثار الرسل والآباء الاولين. وممّن انذروا في القرون المتأخرة بدنوّ يوم الدينونة احد كبار المبشّرين القديس منصور فاريه واثبت قولهُ بالعجائب وردّ بإنذاره عدداً لا يُحصى من الخطأة الى التوبة. ولمّا انتشبت الحرب العموميّة سألنا كثيرون لمّا احسّوا بويلاتها أليست هذه دلائل على قرب وقوع الساعة. فكان جوابنا الله اعلم. على انّ حضرة الخوري بطرس القرح من دير الاحمر يرى في هذه البلايا التي لا تزال تكتنفنا

علامات دالّة على اقتراب الزمان اخصّها كثيرٌ من آيات الكتاب المقدّس التي تحتمل هذا التأويل ولم يقطع بها المفسّرون . على كلّ حال لا بأس ان يسهر الناس ويصلّوا فيكونوا في كلّ الاوان مستعدين ليلاقوا الديّان ان لم يكن في الدينونة الاخيرة فعلى الاقلّ في الدينونة الخاصّة في ختام حياة كلّ انسان وهي قريبة بلا شك   ل . ش

شذرات

التعليم العالي باللغة العربيّة   كان ألقى صاحب الهلال سؤالًا مرفقةً على حضرة الاب هنري لامنس في مناسبة تعليم العلوم العالية باللغة العربيّة فكان جوابهُ على غير طريقة رسميّة مرتابًا في موافقة تعليم هذه العلوم باللغة العربيّة لئلّا تتعزل البلاد شيئًا فشيئًا عن الحركة العامّة اذ تصبح اللغة الوطنيّة حاجزًا منيعًا دون مواصلة التقدّم .

فرأى الكاتب الاديب فليكس فارس في هذا الجواب بخسًا باللغة العربيّة وحاول الردّ عليهِ بمقالة نشرها في مجلّة بيت لحم في عدد آذار الاخير . على اننا رأينا ردّهُ في غير موقعهِ وذلك لاسباب تضطرّنا الى تأييد قول الاب لامنس بوجيز الكلام:

١ انّ تعليم العلوم العصريّة كالطبيعيّات والكيميا والهيئة والنبات وطبقات الارض والآثار القديمة فيها وكثير غيرها تستدعي تعريب عدد عديد من الكتب الاوربية ومهما تعدّد المعرّبون تخور قواهم دون تعريبها بعد مدّة طويلة . ٢ انّ التعريب الحسن يقتضيهِ معرفة تامّة بالاصول العربية مع معرفة بليغة باللغة التي تُنقل اليها تلك المعرّبات وقلّما نجد من يُتقن معرفة الاثنتين تمامًا . ٣ يطلب التعريب وجود الوف وربوات من الالفاظ الاصطلاحيّة المعوّل عليها بين العلماء لنقل ما يوافقها في اللغات الاوربيّة . وهذه الاصطلاحات او ناقصة في العربيّة او غير مقرّرة لعدم وجودها في معجم عربيّ . ٤ ليس في البلاد العربيّة جميّة علميّة (اكادمية) توجب باستعمال هذه الاصطلاحات وتحدّد معانيها ولذلك ترى كلّ معرّب ينقل المفردات العلميّة كما يعنّ لهُ دون ان يبالي بتعريب غيرهِ فتتعدّد المسمّيات لاسم واحد دون جدوى .

٥ وهب انَّ المعرّبين يستوفون كل شروط التعريب فاين الحكومة التي تتعهّد بنشرها على حسابها وتوجب التعليم بها . ٦ ولو افتُرض هذا التعليم الالزاميّ فانَّ تلك الكتب لا ينفد طبعها وتعريبها الّا بعد سنين طويلة والعلوم في تلك الاثناء تكون تقدّمت كلّ يوم فيعتق الكتاب ويبقى الدارس محروماً من الكتشفات الجديدة . كما جرى للتعريبات العلميَّة في مصر وفي الكليَّة الاميركانيَّة في بيروت فاضطرَّ رؤساؤهما الى اهمال التدريس بالعربيَّة وعادوا الى الافرنسيَّة او الى الانكليزيَّة

٧ وقد اضاف حضرة الاب لامنس سبباً آخر غاية في الصواب. اذا صار تعليم العلوم بالعربيَّة وأُهملت اللغات الاوربيَّة انقطعت عن ابناء العرب مناهل العلوم الحيَّة التي تنعش بها اوربَّة كلّ يوم ارواح المتواردين اليها وتنير اذهانهم بساطع انوارها فيبقى العرب محبوسين في نطاق ضيّق ودائرة حرجة ليس لديهم سوى ما يلقّنهم بالتعريب . نقول ذلك اقراراً بالحق لا لنبخس العربية حقها وكلٌّ يعلم سعينا في ترقّيها

✤ نجمة الهلال على طوابع بريد الشام ✤ وقع في يدنا طرودات ومكاتيب من الشام عليها طوابع بريد مضافاً اليها نجمة الهلال التركيّ فاخذنا العجب من العود اليه . وقد سبق لنا في المشرق (١٧ : ٦٤٠) انَّ اصل الهلال التركي شعار مدينة القسطنطينيَّة قبل تجديدها على يد قسطنطين الكبير اذ كانت مدينة وثنيَّة تُعرف باسم بوزنطيوم . فكان لهذه المدينة هيكل لعبادة الالهة هيرا (Ἥρα) زوجة المشتري وكانوا يمثّلونها والهلال على رأسها ليس فقط اشارة الى القمر وهلاله بل ايضاً تلميحاً الى البقرة وقرنيها لأن الالهة هيرا كانت تمثَّل ايضاً على صورة بقرة مقرَّنة . وكان البوزنطيون تنويهاً باكرامهم لها ضربوا الهلال على مسكوكاتهم وفي وسط الهلال نجمة مسدَّسة الزوايا مع اسم مدينة بوزنطية . وقد اكرموا كذلك الالهة ارطاميس (ومنها طاميش في لبنان) او ديانا على هذه الصورة وكانت ايضاً من معبوداتهم الجليلة

✤ مار افرام ملفان الكنيسة ✤ سرّنا الخبر الوارد من رومية انَّ غبطة السيّد اغناطيوس افرام الثاني الرحماني بطريرك السريان قد نال من نعم الكرسي الرسولي بان يكرم القديس افرام السرياني في سائر الكنيسة الكاثوليكيَّة بصفة ملفان فتُقام له رتبة خاصة كأحد كبار آباء الكنيسة ومعلّميها

✤ ترقّي الكثلكة في ايّام الحرب وبعدها ✤ قلنا سابقاً انَّ الحرب

العمومية مع كونها نقمة هي ايضاً نعمة . ومن جملة نعمها نمو كنيسة الله وارتداد غير المؤمنين اليها . فمن ذلك ما ورد من افادات المرسلين في هذه المدّات الاخيرة في الكونغو واوغندا وغيناي انّ المرتدّين من الشرك الى الايمان في نموّ متواصل . وقد بلغ بعض الوطنيين في اوغندا والغابون الى سرّ الكهنوت فكان ارتقاؤهم الى هذه الدرجة باعثاً جديداً لارتداد مواطنيهم . ومن اخبار زيلندة الجديدة انّ عدد الكاثوليك بلغ الى عشرين الفاً ولم يكن قبل اعوام قليلة بالغاً بضع المئات . ومن فوائد الحرب انّ كثيرين من جنود المستعمرات الافريقيّة والاسيويّة باختلاطهم مع الجنود الكاثوليك اكتحلوا بنور الايمان وطلبوا العماد فتعمّدوا في امكنة شتّى. وممّا افاده احد خدمة الجنود الانكليزيّة انّ ثلاثين الفاً منهم كانوا بروتستانت فانحازوا الى الكنيسة الكاثوليكيّة . واهمّ من ذلك ارتداد الاسقف الانغليكاني يوسف فردريك كَسمان من علماء كنيسته الذي جحد التعاليم البروتستانيّة بين ايدي الكردينال جبّونس في ٢٥ ت٢ الاخير . وكذلك جحد البدعة الجنسينيّة المطران برك فقبلهُ في الكنيسة رئيس اساقفة نيويرك وينتظر قريباً رجوع رعيّتهِ معهُ . ومِمّن رجع من الذوات في الصين وزيرا خارجيّتها اللذان تناوبا في خدمة وطنهما الاوّل لوتسنغ زيانغ والثاني ماليَنغ الذي كان سابقاً رئيس مجلس المندوبين في نانكين . وقد لعب كلاهما دوراً مهمّاً في تاريخ الصين الاخير وكانا من اعضاء اللجنة المنشأة لتدوين الدستور الجديد . وكذلك سفير اليابان الى فرنسة المسيو مونتاو ارتدّ بعد زيارته لسيّدة لورد . ولم يُحرَم بعض المسلمين من هذه النعمة في العراق ومصر

خبز التبن — من امثال العرب انّ الضرورة تفتق الحيلة . ومن المعلوم انّ الحرب الطاحنة التي عاينّا اهوالها آخراً كانت حرمت المانيا من الغلّات حتى خيف على اهلها من المجاعة . فجعل العلماء الالمان يختبرون الموادّ الغذائيّة التي تقوم مقام الخبز وممّا اكتشفهُ احدهم الدكتور فريدنتال (H. Friedenthal) انّ في التبن موادّ كثيرة تصلح للتغذية ويمكن استخراجها من قشرها كالنشا والسكّر والمادّة الزلاليّة والدكستري والحوامض النباتيّة فاستخلص هذه المواد من التبن واصلحها بالطبخ واتّخذ منها اطعمة اقبل الآكلون على الاقتيات بها فوجدوها دسمة لذيذة الطعم . هذا ما كتبوهُ وقت الحرب ولعلّهُ من اكاذيبهم المألوفة

أسئلة وأجوبة

س سأل من غوسطا حضرة الخوري يوسف مراد ما هو اصل تشبيه البتول العذراء مريم بارزة لبنان ومَنْ من الآباء شبَّهها بالارز ومتى دخل في طلبتها الدعاء « يا ارزة لبنان » مريم العذراء ارزة لبنان

ج اصل تشبيه مريم العذراء بارز لبنان ما ورد في سفر ابن سيراخ (٢٤ : ١٧) عن الحكمة الالهيَّة المرموز بها الى العذراء: « قد ارتفعتُ كالارز في لبنان » . وقد اثبتت الكنيسة ذلك في فرض عيد السيّدة الذي يُتلى في الطقس اللاتيني . وهكذا ورد ايضاً في كُتب الآباء كالقديس يوحنَّا فم الذهب والقديس افرام والقديس برنردس وهم يشبِّهون العذراء بالارز في رفعتها وخلوِّها من فساد الخطيئة الاصليَّة وطيب رائحة فضائلها . امَّا الدعاء « يا ارزة لبنان » في طلبتها فشاع بفضل المرسلين اللاتينيين لمَّا نشروا في سوريَّة بالعربيَّة تلك الطلبة في اواسط القرن السابع عشر كما ورد في بعض مخطوطات مكتبتنا الشرقيَّة . وقد وجدنا هذه الطلبة مطبوعة في رومية في ذلك الوقت دون ذكر ارزة لبنان

س وسأل احد الاساتذة من هم الصقالبة واين موقع بلادهم وما هي لغتهم الصقالبة وبلادهم ولغتهم

ج الصقالبة جيل كبير من الامم يسكنون في اواسط اوربة وشرقيها وفي شمالي آسية من حدود بلاد البندقيَّة الى ما وراء جبال اورال ينيف عددهم على ١٢٠،٠٠٠،٠٠٠ منهم الروسيُّون والبولونيُّون والسرب والكروات والبوهيميُّون والبلغار واهل جبل الاسود والبشناق ولغاتهم مع تعدُّد لهجاتها تعود الى جذر كبير يتَّصل باللغات الهندوجرمانيَّة . وهو ينقسم الى فرعين اللغة الصقليَّة الجنوبيَّة الشرقيَّة والصقليَّة الغربيَّة . ومن هذه اللغات ما يُكتَب بالحرف اليوناني القديم مع بعض الحروف الخاصَّة كاللغة الروسيَّة واللغة البلغاريَّة ومنها ما يُكتَب بالحرف اللاتيني كاللغة البولونيَّة . وكذلك تختلف اديانهم ومعظمهم نصارى بينهم تبعة الكنيسة البوزنطيَّة مع استقلالهم النظامي الديني كالروس والبلغار . ومنهم كاثوليك كالبولونيين وقسم كبير من البوهيميين والكروات وغيرهم في كل العناصر الصقليَّة ل. ش